تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

عودة المغرب إلى الاتحاد الإفريقي قراءة أولية في الأبعاد والدلالات

صـ8-9

توريث الوحي وعلومه أساس التمكين الحضاري للأمة

صـ 7

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

3 دراهم

المحجة

نصف شهرية جامعة

AlmahajjaJournal almahajjafes@gmail.com www.almahajjafes.net

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج 19 جمادى الأول 1438هـ الموافق لـ 17 فبراير 2017 العدد :473

افتتاحية

المغرب وإفريقيا والوشيجات النوعية

شكلت عودة المغرب إلى منظمة الاتحاد الإفريقي حدثا بارزا عَبَّر عن نجاح في رفع كثير من التحديات التي كانت تقف في طريقه، كما جسد ثمرة جهود لتوجه جديد نحو إفريقيا حيث بدأت الدبلوماسية المغربية تضعه في قائمة أولوياتها في علاقاتها الدولية والإقليمية، كما جسدته مضامين الخطاب الملكي التاريخي مؤخراً في أديس أبابا.

ولقد كانت بوادر هذا التوجه حاضرة في العلاقات المغربية الإفريقية إذ سعى المغرب بكل ثقله في مرحلة الاستعمار وما بعدها إلى الارتباط العضوي بإفريقيا، وكان من أوائل المؤسسين لمنظمة الوحدة الإفريقية. كما كانت النخبة المغربية واعية بأهمية هذا التوجه، فقد كتب الدكتور عبد السلام الهراس في مجلة دعوة الحق سنة 1982 في عددي 222 و224 مقالا بعنوان: "المغرب والمسؤولية الحضارية" نبه فيه إلى ضرورة استعادة لمغرب دوره الريادي حضاريا، كما كتب في عنوان عموده "بارقة" بجريدة المحجة عدد 346 بتاريخ 1 نونبر 2010: "على المغرب أن يحافظ على ريادته لإفريقيا" ثقافيا وروحيا.

وإن توجه المغرب نحو إفريقيا يمثل حقيقة قفزة نوعية حضاريا وثقافيا واقتصاديا وإنسانيا.

- **قفزة حضارية**؛ لأن الرباط الحضاري الذي يربط المغرب بإفريقيا هو نفسه الرباط الذي يربطه بمحيطه العربي والإسلامي على حد سواء، وقد ظل المغرب عبر تاريخه حاضرا في إفريقيا، وإفريقيا حاضرة فيه علميا ودينيا واقتصاديا سواء بحكم ريادته أو بحكم سيادته. والقاسم المشترك الجامع بين المغرب وإفريقيا حضاري عميق في المكونات الدينية واللغوية والجغرافية وفي ما يهدد هذا العمق من تحديات. وبعد مرحلة الفتور والقطيعة والرهان على أوروبا يعود المغرب للمصالحة مع ذاته ومع عمقه الحضاري مصالحة سيكون لها آثارها الإيجابية الكبيرة على المنطقة في وصل الحاضر بالماضي وبناء المستقبل على ذلك.

- **قفزة اقتصادية**؛ لأن كلا من المغرب وإفريقيا في حاجة إلى بعضهما البعض، لاعتبارات عديدة:

أولها: وحدة المجال الجغرافي الذي هو القارة الإفريقية.

وثانيهما: التكامل النوعي والكمي في الثروات الطبيعية والخبرة البشرية.

وثالثهما: تجاوز عقدة الرهان على الاتحاد الأوروبي دون جدوى، والانتقال إلى تأسيس شراكات اقتصادية جديدة من شأنها إحداث أقطاب اقتصادية جنوب – جنوب قادرة على حل مشاكلها وتجاوز معضلاتها بإمكاناتها الذاتية.

- **قفزة إنسانية بامتياز**؛ لأن العلاقة مع الجوار الإفريقي علاقة إنسانية بامتياز، واستثمار إنساني خالص لرفع قاطرة النمو في هذه القارة المثقلة بالمعضلات الإنسانية في الماضي والحاضر، في الماضي كانت سوقا أوروبية للعبيد، وفي الحاضر تجمعت فيها وعليها مآسي الفقر والجوع والأمية والحروب والتخلف واستنزاف خيراتها مع أنها تملك أكبر مخزونات الثروات الطبيعية والطاقات البشرية عالميا.

لذلك فالتوجه نحو إفريقيا ينبغي أن تحكمه الدوافع الإنسانية لإنقاذ الإنسان الإفريقي من معاناته التاريخية ماضيا وحاضرا، والتعاون الندي من أجل الكرامة والحرية. وقد جسد وعي المغرب بهذا الجانب حقيقة قفزة نوعية عجز عنها غيره؛ إذ كان علاج ملف الهجرة نحو أوروبا وإدماج الأفارقة في النسيج الاجتماعي والاقتصادي المغربي قفزة تستحق المباركة والتعزيز لم يجده الأفارقة إلا في المغرب شعبيا ورسميا على حد سواء.

تتمة ص : 2

البحث في السيرة النبوية ومسالك الرصف

صـ 4

علاقة الأدلة بالدلالة عند الأصوليين وأثرها في بناء التعلمات

صـ 6

إعجاز التشريعات الإسلامية في بناء المجتمع المثالي

صـ 7

الأسرة صرح حضاري أرسى دعائمه الدين الخاتم

صـ 10

التدريس وفق نظرية الذكاءات المتعددة ودوره في إنصاف المتعلمين

صـ 11

نظرات في سورة العلق 3/3

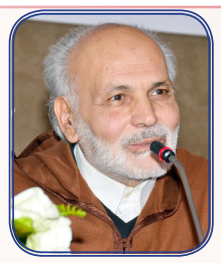

د. عبد العلي حجيج

- دراسة الشكل:

لقد أخرجت هذه الوحدة المعنوية في صورة وحدة مبنية غاية في الأحكام:

فالمخاطَبُ من أول السورة إلى آخرها واحد هو الرسول ﷺ أول مرة وكل مؤمن من بعده في مثل حاله إلى قيام الساعة، والخطاب متوزع على جسم السورة بكيفية تتناسب مع كل جزء منها، فهو يكثر في البداية ويؤكد لحاجة المخاطب إلى دفع ليندفع: ﴿اقرأ باسم ربك...اقرأ وربك...﴾ ويكثر ويتزاحم في النهاية لشدة الحاجة إلى حل حاسم، وجرعات دواء مركزة: ﴿كلا لا تطعه واسجد، واقترب﴾، وهو في الحالين معا دليل المعية؛ بل هو في جميع الحالات أمرا كان أم إضافة أم نهيا - دليل قرب ومحبة.

والمخاطَبُ من أول السورة إلى آخرها واحد هو الله ﷻ. والتدرج من الحديث عنه أول السورة بضمير الغائب "خلق - علم..." إلى الحديث عنه آخر السورة بضمير المتكلم (لنسفعا - سندع) يتناسب مع التعريف به أولها، ونصرته لأوليائه آخرها، كما يتناسب مع تدرج صلة وليه به التي منتهاها المحبة "فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها..، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه" (رواه البخاري).

والمغضوب عليه كالمنعم عليه من أول السورة إلى آخرها واحد هو: الذي يطغى. والتزام الحديث عنه بضمير الغائب يتناسب مع مقته والغضب عليه؛ لأنه من الذين "لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم..." كما يتناسب مع تهوين أمره عند وجود معية الله لأوليائه: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾.

والمقاطع وإن كانت متعددة فهي في ترابطها، ومشابهة بعضها لبعض وانبناء بعضها على بعض، وإسلام بعضها لبعض كالمقطع الواحد، فالثاني له نفس بداية الأول: (اقرأ)، والرابع والخامس لهما نفس بداية الثالث: (كلا)، وهي جميعا متقاربة أو متحدة الوزن: بدايات (فعلن) وفواصل (فعل - فعلن). وكلما تشابه الهدف من الخطاب كثر الشبه بينها. وآخر السورة بصفة عامة يشبه أولها، والمقطع السابق يمهد إيقاعيا للاحق سواء في أصوات الحروف، أو في تعاقب الحركة والسكون، أو في نوع الفاصلة (فعلن) أو (فعل). والسورة تبدو إيقاعيا سريعة الطرفين، متراخية الوسط، وذلك يتجاوب غاية التجاوب مع مضمون الربوبية المتقدم: أنعام فأمثال فجزاء يعين على كل ذلك فاصلة القاف والباء، وكلاهما من حروف القلقلة في المقطعين الأول والأخير، ثم فاصلة الميم، والهاء في المقطعين الثاني والرابع. وكل من المقطعين متأثر في فاصلته بجوار سابقه. ثم فاصلة الألف المقصورة التي تختم جميع آيات المقطع الثالث. وهو الأطول (9 آيات) والأوسط والتي بطولها - وطول مقطعها آيات ومدودا تسهم أيما إسهام في تصوير إمهال الله للإنسان قبل أخذه وطول فرصة الحياة الدنيا قبل "الرجعى"، وفترة صراع الخير والشر. ولا سيما على النفس واستطالة الطغيان سادرا في سكرته، غافلا عن الرجعى إلى ربه، وعن أن الله يراه.

والحروف والكلمات والجمل والآيات كلها تتعاون وتتساند لأداء المراد، مبلغة رسالة الله إلى العباد على امتداد الزمان والمكان بأمانة ودقة وإحكام ويسر...

فقصر الآيات مناسب للبدء ولتيسير الحفظ ولتوالي الإنعام وتكرار الإمهال وسرعة الجزاء. وفعلية الجمل وتوالدها، وأحيانا كما في المقطعين الأولين: (الذي خلق - خلق...) ينسجم مع نعمة الربوبية التي تتدفق في تنام عبر الزمن على الإنسان واهبة أو راعية أو جازية. والجملة الاسمية التي تظهر (أحيانا) لا تظهر إلا إذا تطلب السياق تقرير حقيقة ما. وعلى قدر مطلقية الحقيقة وعدم ارتباطها بالزمن تكون الاسمية (وربك الأكرم . إن الإنسان ليطغى - إن إلى ربك الرجعى - بأن الله يرى).

والكلمات تدق وتتمكن حتى لا يمكن تعويضها بسواها، وتتسع وتمتد حتى لا يمكن إخراج شيء منها، وتعلو على الزمن والمكان حتى ليظن أنها ما كان لها تاريخ نزول وسبب نزول ومكان نزول، فالأفعال كثيرا ما تحذف مفاعيلها أو ترجأ لمد الفكر:

(اقرأ - خلق - علم بالقلم - ليطغى - استغنى - أرأيت - ينهى - صلى - أمر- كذب - تولى - يرى - ينته - فليدع - سندع - اسجد - اقترب) وإذا ذكرت عامة (الإنسان - ما لم يعلم - عبدا...). والأسماء يختار منها الأعم والأهم لتكون خطابا للإنسانية جمعاء في كل عصر ومصر ذكورا وإناثا بيضا وسودا.. (الإنسان الأكرم - علق - القلم - ما لم يعلم - الرجعى - الذي ينهى - عبدا - الهدى - التقوى - الناصية - الزبانية).

ألا ما أروع أن يكون أول نازل لا ذكر فيه لعرب ولا لعجم ولا لطبقة ولا لسن ولا للون ولا لعرق... ولكن فيه ذكر "الإنسان". والإنسان من حيث هو إنسان. أليس إعجازا في الخطاب هذا الابتداء والمنزل عليه عربي قرشي هاشمي مكي متحنث في غار؟ وأليس إعجازا في التناول أن يتجاوز أبو جهل ومحمد ﷺ ليصاغا في صورة نموذجين إنسانيين هكذا لا أثر فيهما للحم والدم: ﴿الذي ينهى﴾ و ﴿عبدا إذا صلى﴾؟ بلى وإن في عموم اللفظ القرآني لسرا.

ذلكم قل من كثر مما تزخر به سورة العلق من اللآلئ معنى ومبنى، وعسى أن يكون في ذلك بعض ما يعين على فهمها وتذوقها والعمل بها.

والحمد لله رب العالمين.

تتمة الافتتاحية

وبناء عليه فالمغرب وهو يحقق هذه القفزات النوعية يزداد ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه، وتزداد رهاناته وطموحاته داخليا وخارجيا:

فعلى المستوى الداخلي

يحتاج بلدنا إلى مزيد مما يلي:

- الحفاظ على مكتسبات التجربة المغربية الرائدة في الاستقرار والسلم الاجتماعي والأمن بجميع مكوناته ومستوياته.

- تعزيز مكونات الهوية الحضارية للمغرب وثوابتها الدينية للاقتدار على تجاوز كثير من تحدياتها، وللاقتدار على مواصلة إحياء النموذج الحضاري المغربي في علاقاته بإفريقيا.

- تعزيز مكتسبات التجربة المغربية سياسيا بتعزيز الحريات والكرامة الإنسانية للمواطنين. إذ بناء مجتمع عادل سياسيا شرط ضروري في العلاقات الدولية والإنسانية.

- تعزيز المكتسبات في مجال التنمية الاقتصادية ببلدنا؛ إذ نحتاج إلى مزيد من الجهود داخليا لرفع تحديات البطالة، وتحسين أوضاع كثير من الفئات الاجتماعية بإحداث مشاريع اقتصادية وبنيات أساسية فلاحيا وصناعيا وتجاريا كفيلة بتأهيل المغرب لأداء رسالته الإنسانية وأدواره الاقتصادية في عمقه الإفريقي وجواره العربي والأوروبي على حد سواء.

أما خارجيا فيحتاج المغرب إلى الحضور الفاعل في المؤسسات الدولية الإفريقية وغيرها بكل ما يعزز البعد الإنساني والحضاري الباني لمستقبل إنساني واعد يكون فيه للمغرب إسهام كبير وقوي، ولا يكون ذلك كذلك إلا ببناء داخلي قوي ومتين.

وختاما نقول إن عودة المغرب إلى إفريقيا أكبر بكثير من عودته إلى الاتحاد الإفريقي، وإن كان هذا لا يقل أهمية من حيث كونه مدخلا أساسا للعمل وفق المؤسسات الدولية والحضور الفاعل فيها ومن خلالها، لكن عودة المغرب إلى إفريقيا عودة ينبغي أن تحمل معها أبعادها الحضارية والإنسانية الواسعة والعميقة، ولا يكون ذلك ذا أثر كبير إلا بتقوية البناء الداخلي والحفاظ على المكتسبات، والسير قدما في تحقيق مزيد من المنجزات المادية والمعنوية الفردية والاجتماعية: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: 105).

﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾

هي آية عظيمة أعرضنا عنها وغفلنا عنها، وهي من الآيات الجليلة التي تعالج واقعا وظاهرة من الظواهر، التي هي ظاهرة الحزن والقلق والاضطراب والاكتئاب، ولاسيما في عصرنا هذا لأننا نلاحظ أن الإنسان يعيش في حالة قلق في كل أنحاء العالم، فلا فرق بين غني وفقير، وذلك يؤدي إلى الانتحارات وعدة كوارث لا يحمد عقباها، والسبب في ذلك أن الإنسان عندما يصاب بهذا الشعور يلجأ من الوهلة الأولى إلى المخدرات بشتى أنواعها وأصنافها، التي لا تزيده إلا هما بعد هم وغما بعد غم، في حين أن الله سبحانه وتعالى وصف لنا الداء وجعل له الدواء، فدواء هذه المعضلة هو تلاوة القرآن الكريم والتدبر والتمعن فيه، فيكون كالغيث للقلوب حيث تحيى به القلوب الميتة، فيصير الإنسان منشرح الصدر، راضيا على جميع أحواله، ومن ثم فرجوعنا للقرآن الكريم هو حل لكثير من المعضلات التي يتخبط فيها المجتمع.

قال السيد قطب في هذا السياق: "ذلك الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فاتصلت بالله، يعرفونها. ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخرين الذين لم يعرفوها؛ لأنها لا تنقل بالكلمات".

فعندما يسري القرآن في قلب الإنسان يحس بطمأنينة وسكينة وتختلج نفسه مجموعة من الأحاسيس الروحانية التي تجعله لا يلقي بالا لما يصيبه في هذه الدنيا من عقبات وصعوبات، قال مقاتل في تفسيره: ﴿ألا بالقرآن تسكن القلوب﴾.

وذلك لا يتأتى إلا في قلب المؤمن؛ لأن المؤمن هو الذي يحس بذبذبات القرآن الكريم وإشاراته وإيحاءاته؛ لأن له قلبا حيّا يلتقط به هذه الأمور.

وقال بعض أهل التأويل فيها: "هو الحلف في الخصومات" وذلك أن الشخص الذي يؤمن بالله لا يسكن قلبه ويطمئن إلا إذا حلفت له بالله، ويقع هذا في المعاملات التي تكون بين الأفراد والجماعات، ولكن نعجب لبعض الأشخاص ونتحسر بحيث لا يعظمون الله ﷻ ويحلفون بالكذب على أتفه الأشياء وأحقرها، فالصحابة رضوان الله عليهم كانوا يؤثرون عدم الحلف، ولو كان ذلك سيؤدي بهم إلى ضياع حق من حقوقهم، من أجل تعظيم الله عز وجل، حتى قال بعضهم: "من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه".

وقيل في تفسير السمرقندي: "تسكن وترضى قلوب المؤمنين الذين آمنوا يعني صدقوا بالله ربا وبمحمد نبيا وبالقرآن الكريم".

والحقيقة التي لا مُرِيَة فيها أن تلاوة القرآن الكريم بتدبر وتمعن تعطي للإنسان حلاوة ولذة لا يعرف قيمتها إلا من ذاقها وقليل ما هم، فنحن في هذا الزمان في أمس الحاجة إلى الرجوع إلى الترياق الذي أعطانا الله ﷻ إياه، لأن الله هو خالق البشرية وأدرى بمكنوناتها وخباياه، فأعطانا دليل الاستعمال لهذا الإنسان، فطوبى لمن تدبر وتمعن في القرآن الكريم حتى أدرك ما يرمي إليه كتاب الله ﷻ.

عبد العالي عمراني

الصلاة على النبي ﷺ وأثرها على الفرد والمجتمع

ذ. علي السباع

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا، ومن صلى علي عشرا صلى الله عليه مائة، ومن صلى علي مائة، كتب الله له بين عينيه، براءة من النار، وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء»(1).

تقديم:

يتحدث هذا الحديث النبوي الشريف عن فضل الصلاة على النبي ﷺ وذلك بأضعاف، صلاة واحدة بعشرة، وعشرة بالمائة، والمائة بالبراءة من النار، والسكون بدار البقاء مع الشهداء وهي منزلة عظمى يمنحها الله للشهداء، والمؤمن بفضل الصلاة على النبي ﷺ يرتقي إلى هذه الدرجة المحمودة بدار البقاء.

من هذا المنطلق نطرح التساؤل الآتي: ما حكم الصلاة على النبي ﷺ؟ وما الحكمة من الصلاة على النبي ﷺ؟ وكيف نصلي على النبي ﷺ؟ وما هي الأوقات الأكثر فضيلة للصلاة على النبي ﷺ؟ وما هي الفضائل والفوائد التي يجنيها المسلم من صلاته على النبي ﷺ؟

نحاول بحول الله وقوته الإجابة عن الأسئلة التالية فيما يلي:

1 - أمر الله تعالى عباده بالصلاة على نبيه محمد ﷺ:

نعم نصلي على النبي ﷺ لأمر الله عز وجل عباده بذلك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: 256).

قال ابن كثير في مختصره: والمقصود من هذه الآية، أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملإ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا.

وتجدر الإشارة إلى أن القاضي عياض في كتابه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" تحدث عن حقوق المصطفى ﷺ ومنها الصلاة عليه، في الفصل الثاني: (حكم الصلاة عليه ﷺ) فقال: اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه(2).

وقال القاضي أبو بكر بن بكير: افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها(3).

إذا فالصلاة على النبي ﷺ واجبة في كل وقت وحين، وذلك لأفضليته ﷺ على العالمين وسائر الخلق أجمعين.

2 - الحكمة من الصلاة على النبي ﷺ:

ذكر ابن حجر -رحمه الله- في كتابه "فتح الباري شرح صحيح البخاري" أقوالا للعلماء تناولت الحكمة من الصلاة على النبي .

- منها ما قاله الحليمي: المقصود بالصلاة على النبي ﷺ التقرب إلى الله بامتثال أمره، وقضاء حق النبي ﷺ، لأن من حقوق المصطفى الصلاة عليه.

وتبعه ابن عبد السلام فقال: ليست صلاتنا على النبي ﷺ شفاعة له فإن مثلنا لا يشفع لمثله، ولكن الله أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا، فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء فأرشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه.

وقال ابن العربي: فائدة الصلاة عليه ترجع إلى الذي يصلي عليه لدلالة ذلك على نصوع العقيدة وخلوص النية وإظهار المحبة والمداومة على الطاعة.

قال ابن حجر: ومن حيث المعنى أن فائدة الأمر بالصلاة عليه مكافأته على إحسانه وإحسانه مستمر(4).

3 - كيفية الصلاة على النبي ﷺ:

علمنا رسول الله ﷺ كيف نصلي عليه، من ذلك ما روي عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد، وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»(5).

وفي رواية عن كعب بن عجرة رضي الله عنه، قيل: يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة عليك؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»(6).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك". وذكر معناه.(7).

وعليه، فالصلاة على النبي كيف ما كانت صيغتها فالإنسان يؤجر عليها، وهذه من خصائصه، ويكفي المصلي أنه إذا صلى على النبي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا.

4 - الأوقات الأكثر أفضلية للصلاة على النبي ﷺ:

مما لا يختلف فيه اثنان أن الأزمنة والأمكنة يختلف شرفها وفضلها حسب سنن الله في الكون، ومنها يوم الجمعة الذي فضله الله على سائر الأيام، للخصائص التي يتميز بها، ومن ذلك الصلاة على النبي فيه، عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي»، فقال رجل يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يعني بليت، فقال: «إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»(8). فالصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة لها فضائل كثيرة مستفادة من قوله ﷺ: «فأكثروا علي من الصلاة فيه» بالإضافة إلى أن صلاتنا تعرض عليه في يوم الجمعة لأنه أفضل أيام الأسبوع، فاللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته.

بل في أي وقت وحين صلى عليه الإنسان فله الفضل والأجر، بل أقرب الناس مجلسا يوم القيامة من رسول الله لما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة»(9).

5 - الفوائد التي تعود بالمنفعة على المصلي على النبي ﷺ:

إذا كان العالم العلوي والسفلي معا يصليان على النبي، فلا شك أن هناك فوائد كثيرة تعود بالنفع على العالم السفلي، وقد حصرها الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله- في كتابه: (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام) في تسعة وثلاثين فائدة وهي:

- امتثال أمر الله سبحانه وتعالى بالصلاة عليه.
- موافقته سبحانه في الصلاة عليه وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف.
- موافقته ملائكته فيها.
- حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.
- أنه يرفع عشر درجات.
- أنها سبب لقضاء الحوائج.
- أنها سبب لصلاة الله على المصلي وصلاة ملائكته عليه.
- أنها زكاة للمصلي وطهارة له.
- أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة.
- أنها سبب لتذكر العبد ما نسيه.
- أنها سبب لطيب المجلس، وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.
- أنها سبب لنفي الفقر.
- أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره .
- أنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه الله ورسوله ﷺ.
- أنها سبب لوفور نور العبد على الصراط.
- أنه يخرج بها العبد من الجفاء.
- أنها سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض.
- أنها سبب البركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه.
- أنها سبب لنيل رحمة الله له.
- أنها سبب لدوام محبته للرسول وزيادتها وتضاعفها وذلك عقد من عقود الإيمان.
- أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه.
- أن الصلاة عليه أداء لأقل القليل من حقه وشكر له على نعمته التي أنعم الله بها علينا.
- أنها متضمنة لذكر الله تعالى وشكره ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله.(10)

6 - أثرها على المجتمع:

إن الفرد الذي يصلي على رسول الله ﷺ ويديم الصلاة عليه لا شك أن نفسه أشبعت حب رسول الله ﷺ، والإيمان به وبدعوته، ومن كان كذلك لا يتصور منه إلا اتباعه ﷺ في كل ما ورد عنه من خير، والارتداع عما نهى عنه من شر. وإن المسلم المصلي على رسول الله ﷺ مسلم صالح في ذاته لا يصدر منه إلا الخير والهدى والدعوة إليه.

وكلما كثر المصلون على رسول الله ﷺ وكثر الخير فيهم كلما صلح حال الأمة، وكثرت فيها أعمال الخير وأفعال الاقتداء به ﷺ.

وبهذا نخلص إلى أن الصلاة على النبي ﷺ لها فضائل وفوائد كثيرة يغرفها العبد ما دام لسانه رطبا بذكر الله وذكر رسوله ويستفيد منه الناس جميعا وعموم الأمة، وهذا من فضل الله ونعمه، فلله الحمد والمنة، والصلاة والسلام على خير نبي أرسل للأمة، وعلى آله وأصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم القيامة.

---

1 - المعجم الصغير للطبراني، باب من اسمه محمد، ج 2، ص 126.
2 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى : القاضي عياض، ص 177
3 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض، ص 178
4 - فتح الباري شرح صحيح البخاري: لا بن حجر، ج، 11 ص، 168
5 - صحيح مسلم: باب الصلاة على النبي ﷺ ج 1 ص، 306
6 - صحيح البخاري: ج 6 ، ص 120.
7 - صحيح البخاري: ج 6، ص، 121.
8 - سنن ابن ماجه: باب فضل الجمعة ، ج 1، ص، 345.
9 - سنن الترمذي: باب ماجاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ج 1 ص 612
10 - جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام : لا بن قيم الجوزية، ص 445 - 454، بتصرف.

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....
العنوان الكامل :.....
.....

الاشتراك السنوي : 20 عددا

■ داخل المغرب : 60 درهم
■ خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية
● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس)

رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات،

فاس - المغرب

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة
المدير المؤسس: ذ. المفضل فلواتي
المدير المسؤول: د. عبد العلي حجيج
مسؤول الإخراج: رشيد صدقي
الموقع الاكتروني : www.almahajjafes.net
البريد الاكتروني : almahajjafes@gmail.com
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب
الهاتف : 0535931113
الناسوخ : 0535944454
الإيداع القانوني : 1994-61
رقم الصحافة : 91/11
الترقيم الدولي : 3627-1113
الطبع : إكوبرانت
التوزيع : سابريس

البحث في السيرة النبوية ومسالك الرصف

مقال على هامش "المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في السيرة النبوية"

اتفق الدارسون على أهمية وضرورة العناية بالسيرة النبوية العطرة؛ ليس فقط لكونها تقرب لنا صورة أعظم أنموذج لرسول الله ﷺ، ولكن لكون العناية بها أضحت حاجة حضارية ملحة، إذ يؤكد خبراء الشريعة وفرسان العلم أن بريق إنقاذ الأمة من عنائها وتخليصها من وحل واقعها؛ يلمع من سيرة الرسول الأكرم ﷺ، ولكون السيرة شاملة للقرآن والسنة فهي الوجه العملي للوحي وفيها كان التحويل السليم للدين إلى تدين في صورة هي قمة الجمال والكمال.

غير أن النظر للسيرة بهذا الاعتبار يقتضي بالأساس ألا يقتصر على الإشادة بالسيرة والتبرك بها وسردها في المناسبات والاحتفالات، بل تستلزم صياغتها في مشاريع علمية وعملية مقصودة؛ يحملها رجال ونساء أصحاب هم وهمة يبتغون بذلك وجه الله ﷻ في هداية الأمة، لهم مرمى لا يُشغلهم عليه شاغل، محركهم الضمير الحي والشعور بالمسؤولية وجسامة الأمانة، وعلامات سيرهم على النهج السليم والسبيل القويم ما يُكابدونه من معيقات وتحديات لا تزيد العزائم إلا إصرارا، ولا تزيد الهمم إلا اتقادا.

ولعل مؤسسة "مبدع" المبدعة أعطت انطلاقة لهذا المشروع الكبير وتدشينا لهذا المسار الطويل؛ من خلال مؤتمراتها التي تنظمها في هذا الشأن وقد كان آخرها في موضوع "السيرة النبوية الشاملة الكاملة" الذي تناول قضايا غاية في العمق سواء على المستوى النظري أو المنهجي أو التطبيقي.

وقد استوقفني إشكال من بين عدة إشكالات أخرى بقي معلقا وترك للبحث والإنضاج، ومفاده على أي صورة يمكن كتابة السيرة النبوية بالشكل الشامل والنص الكامل؟ هل يُعتمد التحقيب الزماني؟ أم تقسم السيرة وفق موضوعاتها فتتناول السيرة النبوية والمجتمع، السيرة والأسرة، السيرة والدولة..أم وفق تقسيمات أخرى؟

أقول إن التحقيب الزماني للسيرة لا يمكن تجاوزه، إذ يعد هو التقسيم المركزي كما يقول الدكتور عبد المجيد النجار وباقي التقسيمات هي مساندة ومعضدة له، في حين ذهب باحثون غيره إلى اعتماد التحقيب الزماني وفق نزول القرآن الكريم، ولعل الاعتراض على القول الأول ينطلق من أن اعتماد التحقيب الزماني في تقسيم السيرة لن ينتج لنا أفضل مما هو موجود وقد يسقطنا في التَكرار والاجترار، والمسلك الذي قال باعتماد التحقيب الزماني وفق أسباب النزول يُستشكل من حيث جمع مادة السيرة وفق أسباب نزول القرآن يجعلنا نترك أحداثا كثيرة من وقائع السيرة دون رصد ولا إدراج.

ومن هذين المسلكين يمكن استخلاص مسلك وسط موفق بينهما يبدو أنه أنسب في تجميع السيرة وفق صورة أشمل وأكمل، وذلك باعتماد التحقيب الزماني للسيرة عبر المراحل الأساسية المعروفة لدى كتاب السيرة، لكن داخل كل مرحلة يكون التركيز الأكبر على القضايا التي ركز عليها القرآن الكريم من أحداث السيرة وتتبع تصريحات القرآن وتلميحاته في كل مراحل السيرة، وبذلك يمكننا تدوين السيرة الظاهرة والباطنة لرسول الله ﷺ؛ فأما الظاهرة فهي التي نقلها الرواة عن رسول الله ﷺ مما فعله أو قاله أو أقره وكذا ما وُصِف به خلقةً أو خُلقا، وأما السيرة الباطنة فأقصد بها الأحوال التي لم يتحدث بها رسول الله ﷺ ولا يعرفها عنه أحد من صحابته ولا سبيل لهم إلى ذلك؛ كحبه أو كرهه أو فرحه أو حزنه أو ما يبديه أو ما يخفيه مما لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، وهذا ما نجده في سيرة رسول الله ﷺ في القرآن كقوله تعالى: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ (الأحزاب:37) وقوله: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يومنوا بهذا الحديث أسفا﴾ (الكهف: 6)، ومن خلال هذا المنهج يمكن كتابة سيرة الرسول الكاملة في خاصته ومع أسرته ومع المجتمع وفي مهامه الرسالية وفي مشاعره وحالة مرضه وصحته في السلم والحرب في الرضا والغضب في العسر واليسر... فيكتمل عند المتلقي المشهد وتتبلور لديه الصورة الشاملة لسيرة رسول الله ﷺ.

إن هذا المنهج يضمن لنا تحقيق غايات تعتبر من أكبر حاجات الأمة اليوم، أو بتسمية الأصوليين "واجب الوقت"، وعلى رأسها:

- إعادة الاعتبار للجانب القيمي في سيرة رسول الله ﷺ، وهو موطن الخلل في أخلاق الأجيال المعاصرة من الأمة.
- وكذلك يسهل على دعاة الأمة تقديم الصورة البهية لخير البرية كما يليق بمقداره ﷺ والذي قال فيه ربه: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (ن: 4)، وبالأخص للعالم الغربي الذي بُلوِّرت عنده صورة قاتمة عن رسول الله ﷺ فعبر عنها بعضهم بصور مسيئة وأفلام منحطة، فيكون تعريفهم بالقيم التي جاء بها رسول الله ﷺ أحسن رد.
- تجاوز التقديم العسكري للسيرة النبوية والذي غلب على كثير من المؤلفات المدونة في سيرة رسول الله ﷺ قديما وحديثا؛ حيث لا يخفى ما فيها من تركيز على الغزوات والمعارك التي شهدها أو عاصرها رسول الله ﷺ، دون أن نقلل من أهميتها.
- تغطية جيدة للجوانب التي لم تلق العناية الكافية من سيرة المصطفى كالجانب الاقتصادي والمالي الذي ينبغي استنباطه من خلال تسليط الضوء على تجارته وبيعه وشرائه.
- التفصيل في الجانب الإنساني (الحقوقي) في حياته ﷺ وهو غير قليل وإنما يحتاج إلى إبراز وحسن عرض.

إن الاجتهاد والتجديد في منهج كتابة سيرة رسول الله ﷺ وفقه عرضها؛ ليس نافلة من القول ولا فضلة من العلم، بل هو من صلبه ومن واجبات أهله وطلبته، لكونه من حقوق رسول الله ﷺ علينا، كما قيل في حق الإمام الليث "الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به" ففي حق رسول الله ﷺ يمكن أن نقول إنه شمس غير أن رمد العيون وعللها حالة دون تقديره حق قدره،

وبعد هذا وقبله فإن الغاية من بلورة أفضل منهج للتعريف بأفضل البشر ليس البُغية من ورائه تشنيف المسامع بكونه عظيما أو عبقريا أو غيرها بقدر ما يُقصد بالتعريف به تبليغ رسالته ونشر هدايته للبشرية وإنقاذها من الضلال وتعميم الرحمة التي جاء بها للإنسانية التي أوشكت أن تفقد إنسانيتها، وتبرئة الذمة بين يدي الله ورسوله.

عبد المجيد بابا ابريك

مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ذ. أحمد حسني

أبو بكر الصديق، عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة التميمي القرشي، وكنيته أبو بكر، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول الخلفاء الراشدين.

لما تقلد أبو بكر الصديق، مسؤولية الخلافة وتبعاتها، بعد رسول الله ﷺ، وبعد انتخابه ومبايعته، صعد المنبر لأول مرة، ليستقبل الجمع الغفير من المسلمين ليخطب فيهم، فقال: **"أيها الناس، إني وليت عليكم ولست بخيركم، إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، ألا وإن الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له، ألا وإن القوي فيكم عندي ضعيف حتى آخذ منه الحق، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم".**

بهذه الكلمات المؤمنة، والعبارات المضيئة الصادقة، استهل أبو بكر رضي الله عنه خلافته و حكمه.

إنه يريد أن ينزع من صدور الناس وعقولهم أي وهم يجعلهم يضعون الحاكم فوق قدره ومكانته، إنه يريد أن يقر في قلوبهم أن الحكم تكليف لا تشريف أو هو تشريف بالتكليف، فهو ليس مزية ولا امتيازا إنما هو خدمة عامة، ووظيفة لا استعلاء، وهو رحمة وإحسانٌ وتواضع لا كبرياء، فالحاكم فرد في الأمة، وليس الأمة في فرد.

خرج أبو بكر كعادته إلى السوق، في اليوم الموالي لبيعته يبتغي من فضل الله، فلقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له: "إلى أين يا خليفة رسول الله؟" قال: "إلى السوق". قال عمر: "وماذا تصنع بالسوق وقد وليت أمر المسلمين؟". قال أبو بكر: "فمن أين أطعم أولادي؟" فأشار إليه عمر أن يذهبا معا إلى المسجد للنظر في فرض راتب لضمان قوت عياله، حتى يتفرغ لأمور الخلافة ومصالح البلاد والعباد. وفي المسجد اجتمع أبو بكر وعمر بأبي عبيدة بن الجراح أمين بيت مال المسلمين، وجماعة من كبار الصحابة، وعرض عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأيه، ففرضوا لأبي بكر ما يكفيه وأهله بالمعروف.

كان أبو بكر رضي الله عنه قبل انتخابه خليفة للمسلمين، يذهب إلى بيوت العجزة واليتامى والضعفاء، ويقضي لهم حوائجهم، رأفة بهم، فلما صار خليفة، خشي هؤلاء أن يحرموا من خدمات أبي بكر لهم، وصادف أن سمع إحدى الأرامل تقول: اليوم لا تحلب لنا شاة. فقال: "بل لأحلبنها لكم"، وسارع يقرع الباب، وتفتحه طفلة صغيرة، لا تكاد تراه حتى تصيح: "صاحب الشاة يا أماه".

كان أبو بكر رضي الله عنه يحمل داخل صدره قلبا كبيرا، قال رسول الله ﷺ في حقه: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر» (رواه الترمذي).

هذا هو أبو بكر الصديق في بساطته التي كانت أهم عناصر شخصيته، هذا هو خليفة رسول الله ﷺ. يروى أنه كان لأبي بكر غلام جاءه يوما بطعام فأكل منه، ثم سأله من أين أتيت بهذا الطعام؟ قال الغلام: إني كنت قد تكهنت لرجل، فخدعته لأني لا أجيد الكهانة ولا أحسنها فأعطاني هذا الطعام الذي تأكل منه، فأدخل أبو بكر رضي الله عنه يده في حلقه وراح يتقيأ حتى قاء كل شيء في جوفه، فيقول له: رحمك الله كل هذا من أجل لقمة؟ فأجاب: "والله لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به» (رواه أحمد).

كان أبو بكر رضي الله عنه يتقصى أخبار الولاة، ويسأل الرعية هل من أحد يشتكي من ظلم؟ هذا هو الخليفة الأول للمسلمين الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة، وأعتق بلالاً من ماله، وما نفعني مال أحد قط كما نفعني مال أبي بكر» (رواه الترمذي).

قال على بن أبي طالب رضي الله عنه في تأبين أبي بكر الصديق: "كنت كالجبل الذي لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف، كنت ضعيفا في بدنك، قويا في أمر الله، متواضعا في نفسك، عظيما عند الله، جليلا في الأرض، كبيرا عند المؤمنين، القوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه، والضعيف عندك قوي حتى تأخذ الحق له، فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك".

ومن وصية أبي بكر رضي الله عنه لابنته عائشة رضي الله عنها: "أنظري يا عائشة ما زاد في مال أبي بكر منذ ولي هذا الأمر، فرديه على المسلمين"، فنفذت عائشة وصية أبيها رضي الله عنهما، بعد أن حصرت حصرا دقيقا وأمينا لما تركه أبو بكر، ودفعت ذلك إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وما كاد عمر يرى ما خلفه أبو بكر حتى انفجر بالبكاء وقال: "لقد أتعبت كل الذين يجيئون بعدك يا أبا بكر".

قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة» (البخاري).

نسأل الله القدير الرحيم، أن يجعلنا من المسارعين إلي الخير، السباقين إلى البر، وأن يهبنا نعمة الانتصار على أهواء نفوسنا آمين.

قراءات وتأملات في وصايا ثلاث

بعد الحمد والثناء على المولى ﷻ وبعد الصلاة والسلام على أشرف المرسلين وسيد الخلق أجمعين، هذه مذكرات ووصايا أوصي بها نفسي وغيري من الأهل والأصحاب والإخوة، وهي مجموعة آيات قرآنية في وصايا ثلاث:

الوصية الأولى: هي وصية بالتدبر والتفكر في عظمة الخالق واستحضار معيته وربط الصلة به على الدوام وفي جميع الأحوال بأداء الفرائض والواجبات وامتثال الأوامر واجتناب المنهيات، وبالشكر على النعم التي لا تعد ولا تحصى، والتأمل في خلق الله وآياته المتعددة مصداقا لقوله تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ (آل عمران: 189).

كل هذه الآيات وغيرها تتجلى بنورها وضيائها في الكون وفي عظمة خالقه وفي خلق السماوات والأرض بغير عمد، وفي خلق الإنسان وخلق جميع الكائنات الحية سواء منها ما يدب على الأرض أو يسبح في أعماق البحار أو يحلق في الفضاء. ويتجلى هذا النور وهذا الضياء كذلك في آيات القرآن العظيم والذكر الحكيم الذي هو كلام رب العالمين والمعجزة الخالدة لخاتم الأنبياء والمرسلين سيد الأولين الآخرين والخلق أجمعين سيدنا محمد ﷺ. هذا القرآن الذي يقول الحق سبحانه وتعالى في حقه وفي حديثه عن تسبيح الكون والكائنات: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ (الحشر: 20).

وقوله تعالى: ﴿يسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾ (الإسراء: 43).

وقوله: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما﴾ (الإسراء: 8).

وعن أسرار هذا القرآن وعجائبه وإعجازه وحقائقه الكونية والعلمية التي لا تقف عند حد ولا تنتهي إلى عد أبدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾ (الكهف: 108).

ويقول تعالى: ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾ (الكهف: 108).

بهذا الإعجاز وبهذا البيان يكون الخطاب القرآني قد أحاط في هذا الكون بكل شيء بيانا وتفصيلا ولم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وغاص في أغوار معانيها خصوصا كلما تعلق الأمر بقضية الإيمان والكفر وبحقيقة الموت والحياة وبمصير ومآل الأمم السابقة في العصور الغابرة. فهو منهاج حياة متكامل شامل وجامع يهتم بحياة الفرد والجماعة في جميع مراحلها من العلاقة الزوجية إلى العلاقات الدولية.

الوصية الثانية: وهي وصية بتقوى الله وبمحبته وطاعته وطاعة رسوله ﷺ، ولا يتأتى ذلك إلا باتباع الهدي النبوي الشريف من أجل الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة مصداقا لقوله سبحانه وتعالى:

- ﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ (الأحزاب: 69).
- ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ (آل عمران: 30).
- ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (الأنفال: 23).
- وهذا رسول الله ﷺ يقول: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قيل ومن يأبى يا رسول الله. قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».

فنجاة الإنسان وفوزه في الامتحان وربحه للرهان في الحياة الدنيا يكون على قدر استقامته في الحياة وخشيته لخالقه واستعداده للقائه، ولا يتأتى هذا الفوز كذلك إلا بدخول الجنة والنجاة من النار مصداقا لقوله تعالى:

- ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ (النازعات: 39).
- ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (آل عمران: 185).

فالدنيا دار للمرور وجسر للعبور لا دار قرار واستقرار، وهي مزرعة للآخرة، ودار تكليف لا دار تشريف، ودار امتحان وابتلاء وعناء لا دار جزاء وسكون وهناء، فأولها بكاء، ووسطها عناء، وآخرها فناء، وقد صدق من قال:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
إلا التي كان قبل الموت يبنيها
انظر إلى من سلك الدنيا بأكملها
هل راح منها بغير القطن والكفن

الدنيا دار للمرور وجسر للعبور لا دار قرار واستقرار، وهي مزرعة للآخرة، ودار تكليف لا دار تشريف، ودار امتحان وابتلاء وعناء لا دار جزاء وسكون وهناء، فأولها بكاء، ووسطها عناء، وآخرها فناء، وقد صدق من قال:
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
إلا التي كان قبل الموت يبنيها
انظر إلى من سلك الدنيا بأكملها
هل راح منها بغير القطن والكفن

الوصية الثالثة: وهي وصية بمراقبة ومحاسبة النفس في القول والعمل والسر والعلن، والاستعداد في كل لحظة للقاء الله تعالى والوقوف بين يديه يوم العرض عليه، وهذا ما يؤكده القران الكريم ويذكر به في مجالات مختلفة ويحث عليه في آيات عديدة وبمعاني متعددة في سياق حديثه عن يوم العرض على الحق وعن أعمار الخلق التي لا تزيد ولا تنقص على أجلها المحدد في قوله تعالى:

- ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ (البقرة: 279).
- ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد﴾ (آل عمران: 8).
- ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه﴾ (الانشقاق: 5).
- ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله بما تعملون خبير﴾ (الحشر: 17).
- ﴿ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾ (المنافقون: 9).
- ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ (الحاقة: 18).
- ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا﴾ (الكهف: 47).
- ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ (الزمر: 8).

يقول أحد الصالحين: "دخلت على الشافعي في مرض موته فقلت له كيف أصبحت؟ قال أصبحت من الدنيا راحلا، وللإخوان والأحباب مفارقا، ولسوء عملي ملاقيا، ولكأس المنية شاربا، وعلى الله واردا، فلست أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنئها أم إلى النار فأعزيها".

فيا سعادة ويا فرح وفوز من تزود لآخرته بصالح الأعمال، وثقلت موازينه بحسنات البر والإحسان، ويا سعادة من رزق الإيمان فيسعد بإيمانه ولو فقد كل شيء، ويا شقاوة وخسارة من فقد الإيمان فيشقى بخسرانه وخسارته ولو ملك كل شيء، ويا سعادة من ثبتت قدماه في المرور على الصراط فيضاء له على قدر استقامته في الحياة.

نسأل الله تعالى أن يثبت أقدامنا على الصراط وألسنتنا على الحق عند سؤال القبر، وبالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا من المؤمنين الصادقين ويرزقنا الإخلاص والصدق في القول والعمل وفي السر والعلن ويوفقنا لصالح الأعمال ويجعلها خالصة لوجهه الكريم لا رياء ولا سمعة فيها، ويجعل أحسن أعمالنا خواتمها وأحسن أيامنا يوم لقاءه والحمد لله رب العالمين

ابن عطية

الأندلسي عبد الحق

إشراقة

ذ. عبد الحميد صدوق

ترويع المسلم حرام ولا يتجرأ عليه إلا أهل الإجرم

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار» (متفق عليه). وفي رواية لمسلم قال: قال أبو القاسم ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى ينزع، وإن كان أخاه لأبيه وأمه» قوله ﷺ «ينزع» ضبط بالعين المهملة مع كسر الزاي، وبالغين المعجمة مع فتحها ومعناهما متقارب، ومعناه بالمهملة يرمي، وبالمعجمة أيضا يرمي ويفسد، وأصل النزع: الطعن والفساد.

قيل: بالمعجمة -أي ينزع- هو من الإغراء أي يزين له تحقيق الضربة. وبالمهملة -أي ينزع- قال ابن التين رحمه الله تعالى: معناها يقلعها من يده فيصيب به الآخر. قال الخليل رحمه الله تعالى: نزع الشيطان بين القوم نزعا حمل بعضهم على بعض بالفساد ومنه ﴿من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي﴾. اهـ

قوله ﷺ: «فيقع في حفرة من النار» قال ابن حجر رحمه الله تعالى: هو كناية عن وقوعه في المعصية التي تفضي به إلى دخول النار.اهـ

وقال ابن بطال رحمه الله تعالى: هو من باب الأدب وقطع الذرائع ألا يشير أحد بالسلاح خوف ما يئول منها ويخشى من نزع الشيطان. اهـ

وقال النووي رضي الله عنه: فيه تأكيد حرمة المسلم والنهي الشديد عن تريعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذي، لأن ترويع المسلم حرام بكل حال، ولعن الملائكة له يدل على أنه حرام. اهـ

وقال ابن العربي رحمه الله تعالى: إذا استحق الذي يشير بالحديدة اللعن فكيف بالذي يصيب بها؟.

وعن جابر رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولا" (رواه أبو داوود، والترمذي وقال: حديث حسن).

ونهى النبي ﷺ عن تعاطى السيف مسلولا لما يخشى من ذلك على المسلم، وحصول الضرر له منه، قال ابن رسلان رحمه الله تعالى: يقال: تعاطيت السيف إذا تناولته، قال تعالى: فتعاطى فعقر أي تناول الناقة بسيفه فعقرها. اهـ

علاقة الأدلة بالدلالة عند الأصوليين وأثرها في بناء التعلمات

بعد نشر المقال الأول والذي تحدث فيه الكاتب عن «أوجه تأثير الأدلة على الأحكام عند الأصوليين وصلتها بالتعلم»؛ يأتي هذا المقال في هذا السياق ليرصد روابط الصلات بين الأدلة والدلالة مع ربط كل ذلك بالتعلم؛ ذلك أن هذا الأمر هو الذي سيفضي بطلابنا إلى تصور أجزاء العلم الواحد على أنها بنية واحدة تجمعها روابط عديدة في شكل بنائي متين تشكل في منتهاها علما قائم المظان والمصطلحات والمنهج.

وأنا أتصور أن كل علم هو بمثابة شجرة ذات الفروع الكثيرة والأغصان المتفرقة؛ فإذا ما نظرت إلى أعلاها حسبت كل غصن لا يجمعه بأخيه رابط، وإذا ما نظرت إلى أسفلها أدركت أنه رغم ذلك الاختلاف إلا أنها يجمعها جذع واحد متين مستوي السوق ومتجذر في التراب.

وبمثل هذا التصور الكلي الجامع لشتات العلم وأجزائه؛ يحصل المقصود من المطلوب، ويسهل الاستيعاب على الطالب الدؤوب.

أما فيما يرتبط بإدراك تلك العلاقة فإنه لابد أن نضع أمام أعين القراء الأفاضل الكرام مفهوم كل من المصطلحين المقصودين بالبحث والدراسة وهما الدليل والدلالة؛

فالدليل معناه: «ما يتوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري»(1).

والدلالة تعني: «فهم أمر من أمر، أو كون أمر بحيث يفهم منه أمر»(2).

فالدلالة من خلال هذا التعريف نوعان:

النوع الأول يكون واضحا وجليا ويفهم من ظاهر اللفظ، وهذا هو المشار إليه في التعريف بـ:«فهم أمر من أمر».

في حين أن النوع الثاني يكون غير واضح من مدلول اللفظ الظاهر ولا يدرك إلا بالتأمل واستعمال النظر، وهو المرتبط بالشطر الثاني من التعريف «كون أمر بحيث يفهم منه أمر»، بمعنى أنه قابل لأن يفهم منه أمر، لكن لابد من النظر والتأمل.

من ذلك نستفيد أن العلاقة بين الدليل والدلالة هي أن الدلالة تؤخذ من الأدلة، وتستنبط منها، فهي المصدر الأول لها؛ ذلك أن «طرق الاستثمار هي وجوه دلالة الأدلة»(3).

فالدلالة تفهم من الدليل؛ فالعلاقة بينهما هي علاقة لفظ بمعنى، علاقة تلازم. فلا دليل بدون مدلول، ولا مدلول بدون دليل، إذ لا يتصور وجود معنى بدون لفظ، ولا لفظ بدون معنى، إلا ما أهمل في العربية كما يقول النحاة؛ ذلك أن علاقة اللزوم بينهما تظهر بجلاء ووضوح، غير أن دلالة اللفظ فيها ما هو واضح وفيها ما هو خفي.

والتعريف الذي ذكرناه للدليل ينم عن هذا الارتباط الوثيق بين الدليل ومدلوله، ذلك أن الدليل من خلاله يكشف عن مدلوله، فإن المطلوب الخبري ما هو إلا معنى للدليل، يتوصل إليه المجتهد بعد التأمل والنظر الصحيحين.

والمقصود أساسا من الدليل المستدل به هو معناه نفيا أو إثباتا، وإلا فلا فائدة منه حينها، وليس بالضرورة أن نثبت معنى من نفس الدليل بذات الدليل؛ لأن هذا يحصل من النص القطعي، بل قد نثبتها من طرف دليل خارجي على إثبات معنى النص الأول، وهو الغالب في الظني.

وفي عملية التعليم لابد أن يتم ربط الدليل بمدلوله الذي يفهم منه، وذلك من أجل استخراج المعنى الصحيح، ويتم ذلك نتيجة التدبر المتأني فيه؛ من أجل فهمه واستخراج المعنى المقصود منه.

ذلك أن «من مواد الأصول: الفقهُ فإنه مدلول الأصول، ولا يتصور درك الدليل دون درك المدلول»(4).

فإدراك الدليل يفضي إلى إدراك المدلول.

والطالب الجامعي لا يجب أن يقف عند ظواهر النصوص، بل لابد من الغوص في معانيها، واستنطاق مدلولاتها؛ حتى ينفذ إلى أعماقها، وهذا هو المظنون فيه باعتباره قد امتلك مجموعة من المعارف قبل ولوجه الجامعة.

ويتوقع من الأستاذ في درسه أن يركز على تدريب الطالب على استخراج المعاني من النصوص، وذلك بربط الدليل بمدلوله وضوحا وخفاء؛ فالأصوليون حددوا مجموعة من المفاهيم الدلالية التي تعرف بواسطتها معاني الألفاظ، من ذلك مثلا: المفهوم والمنطوق والعام والخاص والمطلق والمقيد... وواضح الدلالة وخفيه... وكل ذلك إنما هو من أجل ضبط علاقة الدليل بمدلوله، بعد معرفة نوع الدليل وطبيعة مدلوله.

والناظر المتبصر؛ إنما ينظر إلى مراتب الدلالة واضحها وخفيها حتى يستطيع بذلك التصنيف للمعاني والألفاظ من جهة، ويضمن وضوح الرؤية وحصول التصور الصحيح أو الراجح من جهة ثانية ليكون تنزيل النص في النهاية صحيحا.

---

1 – الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (ت: 631هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، دار المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان، ج:1، ص:9.

2 – مذكرة في أصول الفقه، للشنقيطي (ت: 1393هـ)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: الخامسة، 2001 م، ص:62.

3 – المستصفى للغزالي ص:7.

4 – البرهان في أصول الفقه للإمام الجويني ج1، ص:7.

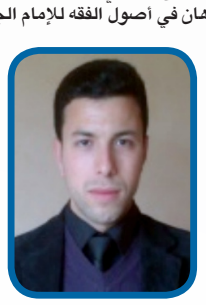

المصطفى خرشيش

نصـــوص الإعجـــاز القرآنـــي (3)

تُعنى هذه الزاوية بجمع ما تناثر من نصوص الإعجاز القرآني في غير مصادره المتخصصة، وما تناثر في هذه المصادر لكن لغير مؤلفيها، كما تُعنى بتصنيفها حسب تاريخ وفاة أصحابها، وذلك خدمة لمكتبة هذا العلم، وفتحا لآفاق جديدة للبحث فيه، ومحاولة لإقامة (الموسوعة التاريخية لنصوص الإعجاز القرآني في التراث العربي).

(تتمة نصوص الجاحظ (ت255هـ))

(6)

«ولم نقل إن العدد الكثير لا يجتمعون على الخبر الباطل، كالتكذيب والتصديق، ونحن قد نجد اليهود والنصارى، والمجوس والزنادقة، والدَّهرية وعُباد البددة(1) يكذّبون النبي ﷺ، وينكرون آياته وأعلامَه، ويَقولون: لم يأت بشيء، ولا بانَ بشيء.

وإنما قلنا: إن العدد الكثير لا يتفقون على مثل إخبارهم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، التهامي الأبطحي عليه السلام خرج بمكة، ودعا إلى كذا، وأمر بكذا، ونهى عن كذا، وأباح كذا، وجاء بهذا الكتاب الذي نقرؤه، فوجب العمل بما فيه، وأنه تحدى البلغاء والخطباء والشعراء، بنظمه وتأليفه، في المواضع الكثيرة، والمحافل العظيمة. فلم يرُمْ ذلك أحد ولا تكلَّفه، ولا أتى ببعضه ولا شبيه منه، ولا ادّعى أنه قد فعل، فيكون ذلك الخبرُ باطلاً.

وليس قول جمعهم إنه كان كاذباً معارضةً لهذا الخبر، إلا أن يسموا الإنكار معارضة. وإنما المعارضة مثل الموازَنَة والمكايَلَة، فمتى قابلونا بأخبار في وزن أخبارنا ومَخرجها ومَجيئها، فقد عارضونا ووازنونا وقابلونا، وقد تكافينا وتدافعنا.

فأما الإنكار فليس بحجة، كما أن الإقرار ليس بحجّة، ولا تصديقنا النبي ﷺ حُجة على غيرنا، ولا تكذيبُ غيرنا له حُجّة علينا، وإنما الحُجة في المجيء الذي لا يمكن في الباطل مثله».

[حجج النبوة، رسائل الجاحظ، 3/250–251]

(7)

«... وكذلك وعْدُ محمد عليه السلام بنار الأبد، كوعيد موسى بني إسرائيل بإلقاء الهُلاس(2) على زروعهم، والهمّ على أفئدتهم، وتسليط المُوتان على ماشيتهم، وبإخراجهم من ديارهم، وأن يظفر بهم عدوُّهم. فكان تعجيل العذاب الأدنى في استدعائهم واستمالتهم، وردعهم عما يريد بهم، وتعديل طبائعهم، كتأخير العذاب الشديد على غيرهم، لأن الشديد المؤخر لا يزجُر إلا أصحاب النظر في العواقب، وأصحاب العقول التي تذهب في المذاهب.

فسبحان من خالف بين طبائعهم وشرائعهم ليتّفقوا على مصالحهم في دنياهم، ومَراشدهم في دينهم، مع أن محمداً ﷺ مخصوصٌ بعلامة لها في العقل موقع، كموقع فلْق البحر من العَين، وذلك قوله لقريش خاصة، وللعرب عامة، مع ما فيهما من الشعراء والخطباء والبلغاء، والدهاة والحُلماء، وأصحاب الرأي والمكيدة، والتجارب والنّظر في العاقبة: إن عارضتموني بسورة واحدة فقد كذبتُ في دعواي، وصَدَقتم في تكذيبي.

[حجج النبوة، رسائل الجاحظ، 3/272–273]

(8)

«ولا يجوز أن يكون مثلُ العرب في كثرة عددهم واختلاف عللهم، والكلامُ كلامهم، وهو سيّدُ علمهم، فقد فاض بيانهم، وجاشت به صدورهم، وغلبتَهم قُوَّتُهم عليه عند أنفسهم، حتى قالوا في الحيّات والعقارب، والذباب والكلاب، والخَنافس والجِعلان، والحمير والحمام، وكل ما دَبّ ودرج، ولاح لِعين، وخطر على قلب. ولهم بعدُ أصناف النظم، وضروب التّاليف، كالقصيد، والرجز، والمزدوج، والمجانس، والأسجاع، والمنثور.

وبعد، فقد هجوه من كل جانب، وهاجى أصحابُه شعراءهم، ونازعوا خطباءهم، وحاجّوه في المواقف، وخاصَمُوه في المواسم، وبادَوْه العداوة، وناصَبُوه الحرب، فقَتَل منهم، وقَتلوا منه، وهم أثبتُ الناس حقداً، وأبعدُهم مطلباً، وأذكرهم لخير أو لشرّ، وأنْفاهم لَه، وأهجاهم بالعَجْز، وأمدحهم بالقوّة، ثم لا يُعارضه معارضٌ، ولم يتكلف ذلك خطيبٌ ولا شاعر.

ومحال في التعارف، ومستنكَرٌ في التصادق، أن يكون الكلامُ أخصَرَ عندهم، وأيسرَ مَئونةً عليهم، وهو أبلغ في تكذيبهم وأنقضُ لقوله، وأجدر أن يعرف ذلك أصحابُه فيجتمعوا على ترك استعماله، والاستغناء به، وهم يبذلون مُهَجَهم وأموالهم، ويخرجون من ديارهم في إطفاء أمره، وفي توهين ما جاء به، ولا يقولون، بل لا يقول واحدٌ من جماعتهم: لِمَ تقتلون أنفسكم، وتستهلكون أموالكم، وتُخرجون مِن دياركم، والحيلةُ في أمره يسيرة، والمأخذ في أمره قريب؟! ليؤلّف واحد من شعرائكم وخطبائكم كلاماً في نظم كلامه، كأقصر سورة يخذِلكم بها، وكأصغر آية يدعاكُم إلى معارضتها. بل لو نَسوا، ما تركهم حتى يذكّرَهم، ولو تغافلوا ما ترك أن ينبّههم، بل لم يرض بالتَّنبيه دون التوقيف.

فدل ذلك العاقلَ على أن أمرهم في ذلك لا يخلو من أحد أمرين:

إما أن يكونوا عَرَفوا عجزهم، وأن مِثل ذلك لا يتهيأُ لهم، فرأوا أن الإضراب عن ذكره، والتغافلَ عنه في هذا الباب وإن قرّعهم به، أمثَل لهم في التدبير، وأجدَر أن لا يتكشف أمرُهم للجاهل والضعيف، وأجدر أن يَجدوا إلى الدعوى سبيلاً، وإلى اختداع الأنبياء سبباً، فقد ادّعوا القدرة بعد المعرفة بعجزهم عنه، وهو قوله عز ذكره: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ (الأنفال: 31).

وهل يُذعِن الأعرابُ وأصحاب الجاهلية للتقريع بالعجز، والتوقيف على النقص، ثم لا يَبذلون مجهودهم، ولا يخرجون مكنونهم، وهم أشدُّ خلق الله ﷻ أنَفَة، وأفرط حمية، وأطلبه بطائلة، وقد سمعوه في كل مَنهل وموقف. والناس موكَّلُون بالخَطَابات، مُولعون بالبَلاغات. فمن كان شاهداً فقد سمعه، ومن كان غائباً فقد أتاه به من لم يُزوِّده.

وإما أن يكون غير ذلك.

ولا يجوز أن يُطْبقوا على ترك المعارضة وهم يقدرون عليها، لأنه لَا يجوز على العدد الكثير من العُقلاء والدهاة والحُلَماء، مع اختلاف عِلَلهم، وبُعْد هممهم، وشدَّة عداوتهم الإطباق على بَذل الكثير، وصَون اليسير.

وهذا من ظاهر التَّدبير، ومن جليل الأُمور التي لا تَخفى على الجُهال فكيف على العقلاء، وأهل المعارف فكيف على الأعداء، لأن تحبير الكلام أهوَنُ من القتال، ومن إخراج المال.

ولم يُقَل: إن القوم قد تركوا مساءَلته في القرآن والطعنَ فيه، بعد أن كثُرت خصومتهم في غيره.

ويدلُّك على ذلك قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ (الفرقان: 32)، وقوله عز ذكره: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ (يونس: 15)، وقوله تعالى جل ذكره: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ (الفرقان: 4).

ويدلك كثرة هذه المراجعة، وطولُ هذه المناقلة، على أن التقريع لهم بالعجز كان فاشياً، وأن عجزهم كان ظاهراً.

[حجج النبوة، رسائل الجاحظ، 3/273–277]

---

1 – البددة جمع بد، وهو الصنم.

2 – الهلاس: شبه السل من الهزال.

د. الحسين زروق

إعجاز التشريعات الإسلامية في بناء المجتمع المثالي (1\10)

لخص علماء الإسلام المقصد الأعلى للشريعة بقولهم: "تحقيق المقاصد ودرء المفاسد"، مستنتجين ذلك بالاستقراء، قال السيوطي في الأشباه والنظائر: "رَجَّعَ الشَّيْخ عِزُّ الدِّين بْنُ عَبْد السَّلَام الْفِقْه كُلّه إلَى اعْتِبَار الْمَصَالِح وَدَرْء الْمَفَاسِد، بَلْ قَدْ يَرْجِع الْكُلّ إلَى اعْتِبَار الْمَصَالِح، فَإِنَّ دَرْء الْمَفَاسِد مِنْ جُمْلَتهَا". وقد وجدنا مصداق ذلك في مفردات وتفاصيل أحكام الشريعة الإسلامية، ومما يبعث اليقين في قلوب المسلمين بث هذه الجوانب وإشاعتها فإنها تبين إعجاز التشريع وحكمته الربانية البالغة، فوجب إطلاع الأمة على حقيقة شريعتها بآفاقها الواسعة بدلا من الوقوف بها عند أبواب الطهارات والعبادات على الرغم من كونها وحدها كفيلة ببعث اليقين في قلوب المسلمين، ومعلوم أن اليقين يزداد ويترسخ بازدياد الأدلة وتكاثرها، والانطلاق لاكتشاف أسرار الشريعة في جميع أبوابها يقدم لا شك أدلة أوسع من الوقوف عند أبواب بعينها وتكرار الكلام حولها، وتُعدُّ أبواب المعاملات من أعظم الأبواب بعثا لهذا اليقين في أحقية الشريعة وصلاحيتها متى وقفنا على أسرارها وحكمها.

وفي هذه المجموعة من المقالات نسوق طرفا من هذه الأسرار لإحياء هذا البعد الإيماني، وسندرك باستعراض بعضا من جوانبها أننا أغنياء بشريعة ربنا عن كل ما عداها، وسيدعونا ذلك إلى التشبث بأهدابها، والسعي إلى تطبيقها، وبذل الجهد لنشر نورها والمنافحة عنها.

أبعاد وآفاق في التشريع الإسلامي:

عندما نتأمل في شريعة ربنا سبحانه نجد أنها تحقق مصالح الخلق الدنيوية والأخروية، وتدرأ المفاسد عنهم دنيويًّها وأخرويًّها، وقد قال العز بن عبد السلام في كتابة الفذ: "قواعد الأحكام في مصالح الأنام" معبرا عن ماهية تلك المصالح والمفاسد الأخروية بقوله: (مَصَالِحَ الْآخِرَةِ خُلُودُ الْجِنَانِ وَرِضَا الرَّحْمَنِ، مَعَ النَّظَرِ إلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، فَيَا لَهُ مِنْ نَعِيمٍ مُقِيمٍ، وَمَفَاسِدَهَا خُلُودُ النِّيرَانِ وَسَخَطُ الدَّيَّانِ مَعَ الْحَجْبِ عَنْ النَّظَرِ إلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، فَيَا لَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ"، ولما كان الأمر بهذه الخطورة جاءت الشريعة لتحقيق تلك المصالح ودرء تلك المفاسد الأخروية، وأما مصالح الدنيا ومفاسدها فذكر -رحمه الله- أنها أمور تُعرف وتُدرك بالضرورة والتجارب والعادات والظنون المعتبرات، ومن أراد معرفة شيء من ذلك فليعرضه على عقله على فرض أن الشرع لم يأت فيه بشيء.

ومن مصالح الدنيا قيام مجتمع سليم يتمتع بخصائص كبرى منها:

- أمن نفسي واجتماعي وروحي.
- ترابط ومحبة وقوة رابطة.
- إنتاج وتحضر وفاعلية وتأثير.
- الرسالية والغائية والبعد عن العبث والتيه.

وغير ذلك مما فصله العلماء الباحثون في الشرع والاجتماع والسياسة.

وسنقف عند هذه الآفاق وغيرها لنرى كيف حققتها التشريعات الربانية وجودا وعدما، فوفَّرت أسباب قيامها، ومنعت من تطرق عوامل الضعف والانهيار فيها.

باب "الرهن" وآفاق في الأخوة والتيسير:

يضطر المرء إلى الاستدانة أحيانا في الحضر أو السفر، فيلجأ إلى موسر يستقرضه، فيوافق هذا الموسر لكنه يحتاج إلى ضمان عودة حقه الذي بذله قرضا، ولربما كان مرتابا في شأن هذا المقترض هل سيسدد في الوقت المحدد أو يماطل؟ هل سيقدر على السداد أو يعجز؟ فإذا لم يجد مخرجا يبعث في نفسه الطمأنينة فلربما امتنع عن إنقاذ أخيه وتوقف عن مساعدته وقت حاجته. فبم جاءت الشريعة في مثل هذه المواقف؟ هل تأمر ببذل القرض دونما ضمان للحق؟ أو تمنع الإقراض فيقع الناس في الحرج؟ أو تعطي حلا يحقق للجميع تيسيرا ومحبة وتكافلا فيسير المجتمع بسهولة ويسر في محبة وإخاء.

وهنا نتأمل في حكم الرهن الذي هو في الشريعة: "استيثاق الدين بالعين، ليُستوفى منها عند العجز عن السداد، أو الامتناع منه". وقد قال تعالى في مشروعيته: ﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة﴾. (البقرة:283).

ولما كان المرء في حاجة إلى الاطمئنان على حقوقه فقد شرع الله سبحانه لذلك وسائل إثبات، قال الشربيني الخطيب في مغني المحتاج: "وَالْوَثَائِقُ بِالْحُقُوقِ ثَلَاثَةٌ: شَهَادَةٌ، وَرَهْنٌ، وَضَمَانٌ. فَالْأُولَى لِخَوْفِ الْجَحْدِ، وَالْأَخِيرَتَانِ لِخَوْفِ الْإِفْلَاسِ".

وقد لخص أحد العلماء بعض أحكام الرهن التي من شأنها الإسهام في إيجاد مجتمع صحيح متكافل متماسك فقال ما ملخصه: "شرع الله ﷻ الرهن للناس لحكم وفوائد عظيمة، منها: أن صاحب الدين يستوثق بدينه، وهذا يجعله في طمأنينة، ومن هنا لما وُجد الرهن في الشريعة الإسلامية، وأمكن للمسلم أن يجد شيئاً يحفظ به ماله، أو يحفظ به حقه عند العجز عن السداد، فإن هذا يشجع الناس على الدَّيْن، ويجعل الثقة بينهم قوية، ومن هنا يكون صاحب الدَّيْن في مأمن من ضياع حقه.

ومن حكمه: تسهيل المداينات، وإذا سهُلت المداينات انتفع أفراد المجتمع، وهذا فيه نوع من التكافل، ونوع من التراحم والتعاطف؛ لأن المسلم إذا وجد من يعطيه المال في ساعة الحاجة، فإنه يشكره ويحبه ويذكره بالخير، فمن هنا استوثق صاحب الحق من حقه، وانتفع أفراد المجتمع، فانتشر بينهم الدَّين، وهي مصلحة دنيوية؛ حيث يقضون مصالحهم الدنيوية، ومصلحة دينية.

ومن الحكم: أن المدين إذا كان لديه رهن، فإنه يحفظ ماء وجهه، ويمكنه أن يستدين ممن شاء، فيقول له: أعطني المال وهذا رهن لقاء مالك، ولقاء دينك، وحينئذ يتمكن من الوصول إلى بغيته وحاجته بالدَّين،.. فإنه إذا شعر أنه يخاطب الناس بما يضمن حقوقهم، أمكَنه أن يسألهم حاجته، ولا شك أن الرهن محقق لهذه الفائدة العظيمة.

ومن الحكم: أن في الرهن عدلاً وقطعاً للتلاعب بالحقوق، فإن المديون إذا دفع العين، سواءً كانت سيارةً أو أرضاً أو طعاماً، وجعلها رهناً؛ فإنه ربما كان متلاعباً بحقوق الناس، ويريد أن يأكل أموال الناس، فإذا وضع الرهن انقطع السبيل عنه، ومُنِع من التلاعب بحقوق الآخرين.

ومن الحكم: أن في الرهن منعاً للأذية والإضرار؛ لأن المديون إذا عجز عن السداد مع عدم الرهن، فإن الخصومة، والأذية تقع بين الناس؛ لكن إذا وُجد الرهن، فسيقول له: بع الرهن وخذ حقك، فالرهن يقطع أسباب الخصومة وأسباب النزاع.

وأياً ما كان فإن الله ﷻ شرع الرهن، وتمت كلمته صدقاً وعدلاً، فهو يعلم ولا نعلم، ويحكم ولا معقب لحكمه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنعام: 115).

د. أحمد زايد

توريث الوحي وعلومه أساس التمكين الحضاري للأمة (2)

تقديم

باستقراء الآيات الواردة في القرآن الكريم والتي أشرنا إليها سابقا يتبين أن الأشياء المُورَثة التي أورثها الله لعباده والتي يرثونها عن بعضهم البعض -بإيراث الله تعالى لهم طبعا- إنما هي ثلاثة: وراثة النبوة والوحي، ووراثة الأرض، ووراثة الجنة. وهي مفاهيم دينية بامتياز، والسنن التي تحكم وراثتها وإيراثها سنن ربانية وموازين إلهية، كما أن هذه الأنواع من الإيراث ينبني بعضها على بعض، فيكون إيراث الدين وتوريثه أساسا وشرطا في إيراث الأرض والجنة معا، ومن ثم فلا حضارة إسلامية من غير أن يقوم المسلمون بتوريث الدين وعمارة الأرض على هديه.كيف ذلك؟

1 - وراثة النبوة وتوريث ميراثها هو الأصل في كل وراثة:

والآيات الدالة على ذلك ما يلي:

- قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (النمل: 16).
- ﴿... فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾. (مريم 5-6).

فالآية الأولى أخبرت بوراثة سليمان لداوود، وهي وراثة نبوة وعلم وحكم ومنهاج -كما ذهب إلى ذلك أغلب المفسرين- إذ لو كان الأمر يتعلق بوراثة الأمور الدنيوية لما كان في الإخبار فائدة واختصاص وميزة؛ لأن كل الناس يرثون عن أصولهم ذلك. ودلت الآية الثانية على أن السؤال يتجه نحو طلب النبي زكرياء عليه السلام من يخلفه في وراثة النبوة وحفظ ميراثها والقيام به؛ لأن الأنبياء لا يورثون المال وغيره من الماديات.

وفي الآيتين دليل على أن الأنبياء كانوا مشغولين بتوريث دين الله تعالى لذريتهم، وكان ديدنهم تنشئتهم عليه ليستمر الدين قائما، ومما يعضده قول الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: 133)، وفي وصية يعقوب فائدتان كبيرتان لهما صلة بالمطلوب:

أولاهما: أن الوصية لا تكون إلا بأعز كنز لأعز المقربين ولأشرف غاية، وأثمن كنز يملكه الأنبياء هو الوحي والنبوة، وأشرف غاية هي عبادة الله تعالى والظفر برضوانه.

ثانيهما: أن جواب الأبناء عن سؤال أبيهم/ الوصية كان جوابا موافقا للمراد ومطابقا له، إذ تضمن مفاهيم ورموزاً دينية إسلامية مثل مفهوم: (العبادة - الإله الواحد - أسماء الأنبياء - الإسلام)، ودل جوابهم على نتيجة عمل دؤوب للنبي يعقوب عليه السلام طيلة حياته في تلقين الدين الصحيح لبنيه وتوريثهم مبادئه وتوجيهاته ومقاصده وتوريثهم ميراث الأنبياء من قبله.

2 - وراثة الوحي وتوريث العلم به من أصفى النعم الربانية وأعلاها:

ورد في القرآن الكريم الإشارة إلى أن وراثة الوحي وتوريثه وتوريث العلم به في مواطن عديدة منها قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (فاطر: 32)

والآية تشير إلى جملة حقائق منها:

- أن الله هو وحده المورث كتابه ووحيه، فأصل الوحي من الله تعالى، وإيراثه خاص بالله تعالى. وهذه الحقيقة مرت معنا سابقا.
- أن إيراث الله تعالى كتابه هو محض نعمة من نعم الله تعالى ومن آثار العناية الإلهية في التسخير والتدبير والتيسير.
- أن إيراث الكتاب والدين للعباد هو من تمام الإنعام عليهم؛ قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: 3). وهو أحسن نعمة اختارها الله تعالى لعباده؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (البقرة : 122).
- أن من سنن الله تعالى في إيراث نعمة الدين والوحي اصطفاء من يصلح لها من عباده؛ لأن حمل الكتاب أمانة لا توكل ولا تسند إلا للأقوياء الأمناء؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 33)، وقال الرسول ﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما، وأورثوا العلم، فمن أخذه؛ أخذ بحظ وافر»(1).

3 - أن عباد الله تعالى بعد انقطاع الوحي تفاوتوا في حفظ أمانة ما أورثهم الله من الوحي، وعلى قدر هذا الحفظ يكون التمكين في الأرض وإيراثها.

يظهر من حديث القرآن عن الذين أُورِثُوا الدين أنهم أصناف من حيث قوة التمسك بالدين وحفظه أو عدمه:

- **أعلاهم مرتبة الأنبياء والرسل**، فقد حفظوا الدين وبلغوه كما تلقوه وأنزل عليهم.
- **صنف ثان ممن بعدهم من العلماء والعاملين به والسابقين فيه بالخيرات**، وهم الذين أنيط بهم حفظ الدين والذب عنه وتبليغه، وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (الأعراف: 170)؛ فوظيفة هذا الصنف هي وظيفة مزدوجة:

أولها القيام بحقوق الإيراث من التمسك بالدين والقيام بفرائضه وأركانه.

وثانيها توريث ذلك الآخرين وتحميلهم أمانة حمله وتوريثه أيضا، وإصلاح ما فسد في الأمة انطلاقا من ميراث النبوة والوحي؛ دليل ذلك من الآية كلمة "المصلحين".

- **صنف ثالث مقتصد** و"هو غير المبالغ في طاعة ربه وغير المجتهد فيما ألزمه من خدمة ربه حتى يكون عمله في ذلك قصدًا" كما ذكر الطبري في تفسيره للآية.
- **وصنف رابع ظالم لنفسه:** هذا الصنف ورث الكتاب؛ لكنه لم يعمل به فضيع حدوده ولم يحفظ عهوده، وهو الذي عناه تعالى بقوله: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا..﴾. (الأعراف: 169)، قال سيد قطب رحمه الله تعالى: "وصفة هذا الخلف الذي جاء بعد ذلك السلف من قوم موسى: أنهم ورثوا الكتاب ودرسوه.. ولكنهم لم يتكيفوا به ولم تتأثر به قلوبهم ولا سلوكهم.. شأن العقيدة حين تتحول إلى ثقافة تدرس وعلم يحفظ.. وكلما رأوا عرضاً من أعراض الحياة الدنيا تهافتوا عليه، ثم تأولوا وقالوا: «سيغفر لنا».. وهكذا كلما عرض لهم من أعراض الدنيا جديد تهافتوا عليه من جديد!

وهذا نظير قوله تعالى في موطن آخر: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم: 59)" (في ظلال القرآن: سيد قطب).

وهكذا يظهر أن إيراث الدين هو أصل كل إيراث حضاري، فلا حضارة إسلامية من غير جوهر ديني، ولا جوهر لهذه الأمة من غير هذا الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، ولا وجود للدين ولا استمرار له من غير السهر على توريث ميراث النبوة والحرص على بقائه وتلقينه وتبليغه وغرسه بشروطه، وإعداد كل ما يلزم من العدد البشرية والعلمية والمنهجية والأداتية لإقامة أركانه والاستقامة على هديه وأحكامه.

يتبع

---

1 - أخرجه ابن حبان في صحيحه، وابن ماجه، وأبو داوود، والدارمي وأحمد في المسند، والترمذي في سننه والطبراني.

الطيب بن المختار الوزاني

عودة المغرب إلى الاتحاد الإفريقي

قراءة أولية في الأبعاد والدلالات

لاشك أن الدورة 28 للاتحاد الإفريقي الذي خلف منظمة الوحدة الإفريقية، عرفت حدثا بارزاً ألقى بظلال قوية على أشغال الدورة، يتعلق الأمر باسترجاع المغرب مقعده في المنظمة الإفريقية بعد أن غادرها لمدة تقارب 33 سنة، حيث انسحب من المنظمة سنة 1984.

وقبل الحديث عن حيثيات استرجاع المغرب لعضويته في المنظمة، والأبعاد والدلالات التي يكتسيها هذا الحدث البارز، لا بأس من إلقاء نظرة موجزة عن تاريخ المنظمة الإفريقية، وبيان أهم عوامل تأسيسها، والغايات التي تنشدها من وراء هذا التأسيس، وظروف انسحاب المغرب من المنظمة في ثمانينيات القرن الماضي.

أولا- تأسيس منظمة الوحدة الإفريقية:

لقد ظلت إفريقيا حتى منتصف القرن العشرين، مسرحاً للتنافس الاستعماري الغربي، الذي ظل يستغل ثرواته، ويحتل أراضيه لمدة تقارب القرن من الزمن، على تفاوت بين الدول الخاضعة للاحتلال. إلى أن ظهرت موجة الاستقلال في بداية الستينات من القرن الماضي، والتي عرفت استقلال 15 دولة إفريقية، ثم انضافت بعد ذلك دول أخرى، إلى أن استقلت معظم الدول في إفريقيا سياسيا.

وإبان موجة الاستقلال هاته ظهرت محاولات عدة للتجميع والتوحيد، كان أبرزها مؤتمر أكرا، عاصمة غانا سنة 1958، وحضرته الدول المستقلة آنذاك، وقد ضم هذا المؤتمر ما يزيد على 200 عضو يمثلون مختلف الأحزاب والاتحادات الطلابية والنقابات العمالية في مختلف أنحاء القارة الإفريقية. وقد تمخض عن هذا المؤتمر القرارات التالية:

-المحافظة على السيادة الإقليمية للدول الأعضاء.

-الاعتراف بحق الشعوب الإفريقية في الاستقلال.

هذا المؤتمر هو الذي مهد الطريق لتأسيس منظمة الوحدة الإفريقية وإعلان ميثاقها الخاص في أديس أبابا عاصمة إيثيوبيا بتاريخ 22 ماي 1963. إذ اجتمع رؤساء 30 دولة إفريقية مستقلة، ووقع على ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية الذي اعتبر بمثابة دستور للمنظمة، وتم الإعلان عن تأسيس المنظمة بشكل رسمي في 25 ماي 1963.

وتم الاتفاق على أن تكون عضوية هذه المنظمة مفتوحة للدول الإفريقية المستقلة ذات السيادة، شريطة الالتزام بمبادئ المنظمة المتمثلة في سياسة عدم الانحياز، وعدم ممارسة التفرقة العنصرية. وفي حالة انضمام عضو جديد، يقرر قبوله بالأغلبية المطلقة للدول الأعضاء.

وهكذا أقرت المنظمة في ميثاقها عدداً من الأهداف توخت تحقيقها أهمها:

-تحرير القارة نهائيا من الاستعمار.

-القضاء على التخلف الاقتصادي.

-توطيد دعائم التضامن الإفريقي.

-الارتقاء بالقارة إلى المكانة التي تليق بها على الساحة الدولية.

إن النظر بتمعن إلى أهداف تأسيس منظمة الوحدة الإفريقية، والاطلاع على بنود الميثاق الذي يؤطرها، يبين الحيثيات والملابسات التي دفعت المغرب -وهو عضو مؤسس للمنظمة- إلى الانسحاب من عضويتها بتاريخ 12 يونيو 1984.

ثانيا - انسحاب المغرب من منظمة الوحدة الإفريقية:

لقد شعر المغرب سنة 1984 بالأسف والاستغراب عندما عمدت منظمة الوحدة الإفريقية إلى قبول عضوية جبهة البوليساريو في قمة نيروبي، حيث منحها العضوية كدولة (....) بمسمى: الجمهورية العربية الصحراوية، وهو ما "يكشف في صلبه عن تناقض واضح. ذلك أن الجبهة نفسها أعلنت قيام "الدولة" من جانب واحد، دون أن تستشير السكان في الصحراء؟؟.. وتتصرف فعلا كدولة في الاتحاد الإفريقي، رغم أن الجميع يعرف أنها دولة لا وجود لها إلا على الأوراق. كذلك من جهة أخرى، وعلى صعيد الأمم المتحدة فإنها تصر على المطالبة بحق تقرير المصير، الذي في عرفها لا يمكن أن يكون سوى في شكل استفتاء يختار بموجبه الصحراويون بين الاستقلال عن المغرب أو الاندماج الكلي فيه..."(1) ذلك أن إقرار عضوية جبهة البوليساريو في المنظمة الإفريقية يخالف الميثاق المؤسس الذي اشترط العضوية -وبشكل حصري- على الدول الإفريقية المستقلة وذات سيادة...؟؟!!

وعليه "فإعلان انسحاب المغرب من منظمة الوحدة الإفريقية لم يكن صدفة تاريخية، بل كان نتيجة لمسلسل مليء بمشاهد تآمرية، لتحريف بعض مقتضيات ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية بكيفية ظرفية أو لمصلحة خسيسة يدفع بأعضاء المنظمة إلى الاقتتال"(2).

حيث "ستدفع إلى تقديم طلب عضوية البوليساريو إلى منظمة الوحدة الإفريقية في يونيو 1980 بسيراليون وبحضور قليل لم يتجاوز 24 دولة فقط!! وكانت كل المؤتمرات تدل على احتمال تفكك المنظمة بناء على اعتبار الانقسام الذي حدث سنة 1982، عقب إعلان البوليساريو عضوا في المنظمة في المؤتمر المنعقد بأديس أبابا. "حيث انقسمت المنظمة إلى فريقين متعارضين، وانسحبت 19 دولة إفريقية من أشغال لجنة المتابعة احتجاجا على خرق ميثاق منظمة الوحدة لسنة 1963"(3).

وقد انجرفت المنظمة إلى خرق شرطي الفقرة الرابعة من الميثاق، التي تؤكد على مبدأي الاستقلال والسيادة؟؟... فكيان البوليساريو لا يتوفر على خصائص الدولة من الناحية القانونية أي: لا شعب - لا سيادة- لا حدود ولا سلطة داخلية على أراضيها - ولا استقلالية عن التوجيهات الخارجية...

لكل هذه الأسباب الموضوعية قرر المغرب الانسحاب رسميا من المنظمة بتاريخ 12 يونيو 1984. هذا مع التأكيد على أن علاقاته بالدول الإفريقية لم تنقطع منذ ذلك الوقت، رغم تغيير الاسم إلى الاتحاد الإفريقي سنة 2002.

ثالثا: من منظمة الوحدة الإفريقية إلى الاتحاد الإفريقي:

الاتحاد الإفريقي منظمة دولية خلفت منظمة الوحدة الإفريقية بتاريخ 9 يوليوز 2002، يضم في عضويته 55 دولة.

ويتشكل الاتحاد من عدد من المنظمات والهيآت المتفرعة عنه: هيآت سياسية، وقضائية، واقتصادية، ومالية.

أ-الهيئات السياسية للاتحاد الإفريقي:

يستعين الاتحاد الإفريقي في تسيير دواليبه على عدد من المؤسسات الرسمية وهي:

- البرلمان الإفريقي: وهو أعلى سلطة تشريعية في الاتحاد الإفريقي يقع مقره الرسمي في مدينة ميدراند، جنوب إفريقيا، ويتألف من 265 ممثلا منتخبا من جميع الدول الأعضاء في الاتحاد.

- الجمعية العامة للاتحاد الإفريقي: ويتألف من رؤساء الدول الأعضاء وحكوماتها وهي الهيأة الرئاسية العليا للاتحاد الإفريقي، وتقوم تدريجيا بتفويض بعض من صلاحيات صنع القرار للبرلمان الإفريقي، وتعقد مرة سنوياً ويتم اتخاذ القرارات بالإجماع أو بأغلبية التلقين.

- مفوضية الاتحاد الإفريقي: هي لجنة تقوم بدور الأمانة العامة للاتحاد الإفريقي، مؤلفة من عشرة مفوضين وموظفي دعم. ويقع مقرها في أديس أبابا، وتقوم بمسؤولية الإدارة وتنسيق أولويات مهام الاتحاد.

- المجلس التنفيذي: يتألف من وزراء معينين من قبل حكومات الدول الأعضاء. ويهتم بشؤون التجارة الخارجية، والشؤون الاجتماعية والزراعة وغيرها، ويكون مسؤولا أمام الجمعية العامة.

ب-الهيآت الفضائية للاتحاد: وهي ثلاث هيآت:

- محكمة العدل الإفريقية: تم اعتمادها سنة 2003، وتتلخص مهامها في البث في الخلافات الحاصلة بشأن تفسير الأعضاء لمعاهدات الاتحاد الإفريقي...

- المفوضية الإفريقية لحقوق الإنسان والشعوب: أُنشئت سنة 1986 بموجب الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب، يقع على عاتقها مسؤولية رصد وتعزيز امتثال الأعضاء للميثاق الإفريقي، حيث تعتبر الذراع الإفريقي الرئيسي لحقوق الإنسان.

وهناك كذلك المفوضية الإفريقية للقانون الدولي، والتي تسهر على تطبيق مقتضيات القانون الدولي، والبث في النزاعات بين الدول الأعضاء.

ج-الهيآت الاقتصادية والمالية للاتحاد: هي ثلاث هيآت:

- البنك المركزي الإفريقي ومقره أبوجا عاصمة نيجريا.

- البنك الإفريقي للاستثمار ومقره طرابلس عاصمة ليبيا.

- صندوق النقد الإفريقي ومقره ياوندي عاصمة الكامرون.

بالإضافة إلى هاته الهيآت هناك مجالس وهيآت أخرى منها:

- مجلس السلام والأمن الإفريقي تأسس عام 2004، يهتم بتسوية الصراعات، ووضع سياسات للدفاع المشترك، وإعادة بناء وتأسيس السلام عقب انتهاء الصراعات.

- الممثلين الدائمين للجنة الاتحاد الإفريقي: وهم ممثل المرشحين الدائمين للدول الأعضاء، ويقومون بإعداد المهام للمجلس التنفيذي قبل تحويلها إلى الجمعية العامة.

- المجلس الاقتصادي والاجتماعي والثقافي: وهي هيأة استشارية تتألف من ممثلين مهنيين ومدنيين واقتصاديين من كل الدول الأعضاء.

هذا، بالإضافة إلى لجان فنية متخصصة كالمفوضية الإفريقية للطاقة وغيرها...

رابعا - عودة المغرب إلى الاتحاد الإفريقي:

من الأكيد أن القمة 28 للاتحاد الإفريقي بأديس أبابا عاصمة ايثيوبيا، عرفت حدثاً بارزاً، حظي باهتمام الرأي العام الإفريقي والدولي، ونال إشادات على المستوى الوطني والدولي معا، وعرف إجماعا سياسيا قل نظيره، إنه عودة المغرب إلى الإطار المؤسسي الإفريقي، والعودة إلى شغل كرسيه الذي غادره قبل أزيد من ثلاثين سنة.

فما هي المؤشرات الأولية لهذه العودة؟... وكيف يمكن قراءة أبعادها ودلالتها وطنيا ودولياً؟...

المؤشرات الأولية لعودة المغرب إلى الاتحاد الإفريقي:

لم ينزل قرار عودة المغرب إلى الاتحاد الإفريقي بشكل مفاجئ أو عشوائي على قمة أديس أبابا الأخيرة، بل سبقته إلى ذلك خطوات ومسارات ساهمت في تنزيل القرار على أرض الواقع وبشكل تدريجي، ويمكن هنا حصر ثلاثة مؤشرات -على الأقل- ساهمت في بناء قرار العودة هذا.

أ- المؤشر الديني:

من المعروف القيمة الروحية والدينية للمغرب على مستوى إفريقيا، فتاريخيا شكل المغرب قبلة روحية وعلمية لعدد من الوفود الإفريقية وذلك من خلال استقبال الطلبة الأفارقة لدراسة العلوم الإسلامية في مختلف مدارس التعليم العتيق وعلى رأسها جامع القرويين بفاس، إضافة إلى معهد تكوين الأئمة والمرشدين بالرباط والذي يعني بتخريج الوعاظ والمرشدين في مختلف الدول الإفريقية.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد الهادي التازي: "إذا كان المغرب الأقصى قد حافظ بجد وفعالية على صلاته بالمشرق عبر التاريخ، فإن حفاظه على علاقاته بالإمارات والممالك الإفريقية ظل حقيقة قائمة ثابتة ولم يكن سبب ذلك راجعا فقط إلى الإيمان بوحدة التاريخ الجغرافي والسلالي ولكن ما انفك يعتبر هذه الوحدة قدرا ومصيرا..."(4).

كذلك فإن المغرب "في المجال الثقافي والديني يملك مقومات التعاون المثمر، لأن إفريقيا بقدر حاجتها إلى التنمية الاقتصادية هي بحاجة أكثر إلى التنمية البشرية والتعاون الثقافي والديني للخروج من أزمات الصراع والتطرف والجهل..."(5).

إضافة إلى هذا البعد الديني والثقافي فهناك البعد العلمي والتعليمي حيث يوجد في المغرب آلاف الطلبة يتابعون دراساتهم في مختلف الشعب والتخصصات وفي أعلى المستويات، وهو ما يكرس الريادة العلمية

والدينية والثقافية للمغرب منذ أمد بعيد.

ب- المؤشر الاقتصادي:

إن علاقة المغرب بالدول الإفريقية لم تنقطع على مستوى العلاقات الثنائية، بل ظلت الجسور ممتدة مع أغلب الدول الإفريقية، متمثلة في التعاون الاقتصادي أساسا. حيث لاحظ المتتبعون مؤخراً ارتفاع استثمارات المغرب في بعض الدول الإفريقية إلى مستويات قياسية خاصة مع السينغال والكابون وبوركينافاسو وغينيا...

هذا مع التأكيد على أن إفريقيا تتوفر على أزيد من 65 في المائة من مساحات أراضيها صالحة للفلاحة. وهي أعلى نسبة على مستوى العالم.

وقد عرف حجم التبادل التجاري بين المغرب وإفريقيا ارتفاعا بنسبة 15% كمتوسط سنوي منذ 2005 ليسجل 28.4 مليار درهم سنة 2010 وهو ما يمثل 6،4 من التجارة الخارجية للمغرب. كما ارتفعت صادرات المغرب نحو إفريقيا بنسبة 30% سنة 2010 مقابل 5% سنة 2009. مما يعكس الحضور المتنامي للمغرب على المستوى الاقتصادي في إفريقيا. وتتكون صادرات المغرب أساسا من السمك والأسلاك الكهربائية والأسمدة الطبيعية والكيماوية والسيارات.

هذا الحضور الاقتصادي المتنامي للمغرب على المستوى الإفريقي كان له الدور الهام في التمهيد لعودة المغرب إلى الاتحاد.

ج - المؤشر السياسي:

ويتمثل أساسا في تطور العلاقات السياسية المغربية مع عدد من الدول الإفريقية، وتبادل الزيارات والتعاون على مستوى الدبلوماسي، حيث تكررت الزيارات الملكية إلى الدول الإفريقية بشكل مطرد ومتواصل، وهو تعبير عن تحول في السياسة الدبلوماسية المغربية ترمي إلى تكريس البعد الإفريقي للمغرب، والسعي إلى بناء شراكة قوية مع هذا الامتداد الجغرافي والطبيعي في إفريقيا.

وبتعبير آخر هو انتقال للدبلوماسية المغربية من دائرة رد الفعل والدفاع إلى صناعة الفعل والقطع مع سياسة المقاطعة والكرسي الفارغ التي ربما أتت بنتائج عكسية.

هذه التطورات السياسية على مستوى العلاقات المغربية الإفريقية أدت إلى تراجع كبير في الدول التي تعترف "بجمهورية" البوليساريو، حيث لا تتعدى الآن 13 دولة من أصل 54 دولة مشكلة للاتحاد، وهو رقم غني عن أي تعليق.

خامسا - أبعاد ودلالات عودة المغرب إلى الاتحاد الإفريقي:

بعد قطيعة استمرت 32 سنة غاب خلالها المغرب عن العمل الإفريقي المشترك داخل الإطار المؤسسي للاتحاد الإفريقي، بعث المغرب برسالة مطولة خلال انعقاد القمة الإفريقية في رواندا في 17 يوليوز 2016 أعلن خلالها المغرب نيته العودة إلى الاتحاد الإفريقي كعضو رسمي، ذلك أن القارة الإفريقية تعتبر العمق الطبيعي للمغرب جغرافيا وتاريخيا وثقافيا واقتصاديا، وترتبط المغرب بالقارة روابط تاريخية عميقة وصلات دينية وسياسية لم تنقطع عبر الزمان"(6).

وعودة المغرب إلى الإطار المؤسساتي للاتحاد الإفريقي هي محطة مفصلية تؤشر على ولادة جديدة لهذه المؤسسة، كما أن فيه انتصار للحكمة الإفريقية، ويعبر عن تميز كبير "للدبلوماسية الملكية التي قادت برؤية استراتيجية ملف العودة من خلال الزيارات الناجحة لعدد من بلدان القارة، والتي توجت بتوقيع عشرات اتفاقيات التعاون، وإطلاق مشاريع تنموية رائدة، ساهمت في إعادة الثقة إلى دول القارة بإمكانياتها في التنمية والتقدم"(7).

وهكذا يمكن قراءة دلالات عودة المغرب إلى الاتحاد الإفريقي في ثلاثة أبعاد:

البعد الأول: الامتداد الحضاري والتاريخي والجغرافي:

ذلك أن المغرب عاد إلى حضنه الطبيعي وامتداده التاريخي والحضاري: "كم هو جميل هذا اليوم الذي أعود فيه إلى البيت، بعد طول غياب، كم هو جميل هذا اليوم الذي أحمل فيه قلبي ومشاعري إلى المكان الذي

أحبه، فإفريقيا قارتي، وهي أيضا بيتي... لقد عدت أخيرا إلى بيتي، وكم أنا سعيد بلقائكم من جديد، لقد اشتقت إليكم جميعا..."(8) كذلك عاد المغرب إلى موقعه الطبيعي كمؤسس للوحدة الإفريقية "فمدينة الدار البيضاء احتضنت أول مبادرة لتوحيد إفريقيا سنة 1961 والجزائر لم تستقل بعد"...(9).

كما أن هذه العودة أكدت الرمزية الدينية والحضارية التي يتمتع بها المغرب لدى معظم الشعوب الإفريقية، ذلك أنه شكل على مر التاريخ الجسر الطبيعي الذي يربط القارة بالمشرق الإسلامي ومهبط الوحي، وكان له الدور البارز في نشر الإسلام وتعزيز الانتماء إلى العالم الإسلامي.... وما فتوحات طارق ابن زياد في إفريقيا إلا تأكيد لهذه الحقيقة.

هذا بالإضافة إلى البعثات العلمية التي كانت تباشر التعليم في الأدغال الإفريقية منذ قرون خلت.

فهل تكون هذه العودة المغربية إلى المجال الإفريقي إيذانا بعودة الدبلوماسية المغربية إلى سابق عهدها؟؟...

البعد الثاني: اختبار فعالية الدبلوماسية المغربية:

ذلك أنه أمام تشابك المصالح في إفريقيا، وكثرة الأيادي الممتدة والطامعة في خيرات إفريقيا خاصة من المستعمر القديم الذي لا يزال ينهب ثرواتها، ويسيطر على خيراتها، ويزرع بذور الفتنة بين دولها... في هذا الخضم استطاع المغرب أن يعيد القوة لنسيج علاقاته التاريخية بإفريقيا بل يوسع من دائرتها إلى غرب إفريقيا الذي يعتبر العمق الطبيعي لخصوم الوحدة الترابية المغربية...

وعلى هذا، فقد كانت عودة المغرب إلى إطار مؤسسة الاتحاد الإفريقي نصرا ديبلوماسيا جعلت من "المغرب الإفريقي بعمقه وانتمائه وهويته مجالا للاشتغال، ولنسج شبكات واسعة من العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية والمدنية..."(10).

إن "مفهوما جديدا للدبلوماسية تم الشروع في إعماله، ويعتمد أساسا الدينامية والشجاعة والحضور المستمر سياسيا وثقافيا وإعلاميا..."(11).

والحضور الديبلوماسي المغربي في إفريقيا هو حضور ملموس يتجلى من خلال 26 سفارة بإفريقيا، ووجود علاقات اقتصادية مع أزيد من 40 دولة بما يعادل أزيد من 600 اتفاقية مختلفة، ووجود خطوط جوية تربط المغرب ب25 عاصمة وأزيد من 30 خط جوي.

البعد الثالث : الجانب الاقتصادي للحضور المغربي في إفريقيا:

ذلك أن عودة المغرب إلى الاتحاد الإفريقي لها أبعاد اقتصادية اعتبارا للإمكانات الكبيرة التي تحوزها إفريقيا في مختلف المجالات، فعودة المغرب إلى مجاله الإفريقي جاء وفق مبدأ: علاج الجسم المريض من الداخل بنجاعة أكبر من علاجه من الخارج، لأن الجغرافيا لا يمكن تغييرها، كما لا يمكن التنصل من ثقل التاريخ، فقد وصل المغرب إلى الوعي بأن "سياسية المقعد الشاغر وانسحابه من منظمة الوحدة الإفريقية آنذاك، كان له خسارة سياسية كبيرة جدا، لأنه ترك المجال لخصومه ليمسوا بقضية الصحراء، هذه القضية أصبحت تشكل الهدف الأساسي لانضمامه للاتحاد"(12).

فالاتحاد الإفريقي اليوم ينخرط حاليا في حركة اندماجية وإصلاحية هي الأكبر والأهم في تاريخ القارة، إصلاحات تهم الجانب المالي، حيث ستشرع الدول الأعضاء في تخصيص نسب ثابتة من عائدات رسومها على الصادرات لتمويل المنظمة القارية، كما يتجه الاتحاد نحو حذف تدريجي للحدود الاقتصادية بين بلدانه من خلال تحرير حركة الأشخاص والبضائع.

كما أن هذه العودة "فتحت الآفاق أمام المقاولات المغربية في إطار نموذج جديد، وهو التعاون جنوب جنوب والربح المشترك..."(13).

وجدير بالذكر أن مجال عمل المقاولات المغربية في إفريقيا هو الاتصالات، والبناء والعقار والأشغال العمومية والبنى التحتية، وهي مجالات يعرف فيها المغرب تطورا ملحوظا واكتفاء ذاتيا واضحا.

هذا بالإضافة إلى أن هذا الامتداد الإفريقي للمغرب على المستوى الاقتصادي سيعزز من مكانته التفاوضية مع شركائه الأوروبيين... "فموقع المغرب ووضعه يجعلانه يتحمل مسؤولية تطوير الاتحاد على نحو يجعله فضاء ديمقراطيا، يعتمد نموذجا إفريقيا لتطوير الحكامة قاريا ووطنيا"(14).

ولا شك أن المغرب بهذه العودة التاريخية للعمق الإفريقي، كسب رهانات عدة أهمها: استعادة موقعه الاستراتيجي كرائد ومؤسس للوحدة الإفريقية منذ قرون خلت، كذلك كسب الرهان الاقتصادي من خلال تأكيده على أن ثروات إفريقيا للأفارقة أولا، وكذلك من خلال المشاريع الاقتصادية الضخمة التي أطلقها في عدد من الدول الإفريقية، ويكفي القول أن المغرب انتقل -وفي ظرف وجيز- إلى الرتبة الثانية كمستثمر إفريقي في إفريقيا بعد جنوب إفريقيا.

---

1 - عادل بنحمزة جريدة العلم ع 23746 1فبراير 2017.
2 - عبد الله بوصوف جريدة المساء ع 3201 1فبراير 2017.
3 - نفسه.
4 - المغرب في خدمة التقارب الإفريقي العربي - عبد الهادي التازي دعوة الحق ع 1988.269.
5 - د. الطيب الوزاني -جريدة المحجة ع 472.
6 - نفسه.
7 -عبد المجيد بلغزال ج. الصباح ع 5220 1فبراير2017.
8 - من الخطاب الملكي أمام القمة 28 للاتحاد الإفريقي...
9 - يونس مسكين- أخبار اليوم ع 2202 1فبراير2017.
10 - افتتاحية جريدة الاتحاد الاشتراكي ع 11542 5فبراير2017.
11 - نفسه.
12 - سعيد الصديقي جريدة التجديد 3908 8 فبراير 2017.
13 - أخبار اليوم ع 2205...
14 - عثمان كاير -أخبار اليوم ع 2205.

الأسرة صرح حضاري أرسى دعائمه الدين الخاتم

تتحدد قيمة المجتمع انطلاقا من البنى الجوهرية المشكلة له، ولا يختلف اثنان في كون الأسرة من أسمى هذه البنى وأهمها على الإطلاق، وفي هذا الإطار تبنى الإسلام هذا النظام وأحاط بكل جوانبه ودفع به إلى بني البشر ليستغنوا به عن ما سواه من الأنماط الناقصة، فنظام الأسرة في الإسلام نظام مقدس، المراد منه تلكم الأحكام التي جاءت من عند الله لتنظم العلاقة بين الرجل والمرأة وما ينشأ عنهما، إذ هي بمثابة الخلية العضوية التي يتكون منها المجتمع، فبصلاحها يصلح المجتمع وبتشتتها واغترابها يصير المجتمع مترهلا ومفككا.

ارتبط بالأسرة في الإسلام العديد من التوجيهات والمقومات من قبيل الحث على الزواج، قال تعالى:﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: 32)، وكذا نفقة الأسرة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: 231) ويرجع أمر رئاسة الأسرة إلى الرجل، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء: 34)، وجاء ضابط الرئاسة في هذه الآية الكريمة مشروطا أولا: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وثانيا: ﴿وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، في حين تحل مسألة تربية الأبناء ضمن هذه المقومات محلا مركزيا وذلك لما للنشء من أثر مستقبلي على المجتمعات. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم: 6)، وهي كلها أركان هدفها الأساس خدمة المقصد الأسمى الذي ابتغاه الإسلام، وهو الحفاظ على النسل الإنساني من الاندثار، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ (النحل: 72).

تتلخص فكرة البناء الأسري في كون "كتاب الله الخالد يفيض شرحا وتفصيلا... وهداية في كل شأن له علاقة بالأسرة ويقيمها على الوضوح الكامل حتى لا يدع مكانا فيها للتصدع... ولا يترك ثغرة يمكن أن ينفذ منها أحد لهدم هذا الأساس، ومثل هذا الإسهاب في بيان أمور الأسرة دليل على أهمية هذا الكيان ووضعه في المكان اللائق به، وذلك أنه أساس البناء الاجتماعي كله، فإذا ما تطرق إليه الخلل والوهن هوى البناء وضاعت معالمه"(1). وينتج عن ذلك كل مفسدة تعود على المجتمع بالويلات، حيث "إن البيت هو المؤسسة التي تدرب فيها كل سلالة أخلافها وتعدهم لتحمل تبعات التمدن الإنساني العظيمة بغاية من الحب والمساواة والتودد والنصح... فهذه المؤسسة لا تهيئ الأفراد لبقاء التمدن البشري ونموه فحسب، بل هي مؤسسة يود أهلها من صميم قلوبهم وأعماق صدورهم أن يخلفهم من هو خير منهم وأصلح شأنا وأقوم سبيلا... فالحقيقة التي لا تنكر في هذا المجال، أن البيت هو جذر التمدن البشري نفسه وقوته ومن ثم نرى أول ما يهتم به الإسلام ويعتني به من وسائل الاجتماع إنما هو أن يقيم مؤسسة البيت ويقرها على أصح الأسس وأقومها"(2)، ضمانا للعيش الكريم والسعادة الدائمة.

من خصوصيات الأسرة في المجتمع الإسلامي أنه "كان من تدبير الله لخلقه أن جعل للأسرة من الجاذبية والتأثير ما لم يجعله لأي مؤسسة مجتمعية أخرى، فقدر للناس جميعا رجالا ونساء، أن يعيشوا في أكناف الأسرة، التي كانت مأواهم الآمن الدائم الدافئ الذي يأوون إليه، ويأنسون به وفيه، ويسكنون إليه وفيه، كما جعل الله للأسرة تأثيرا في المجتمع، وهو تأثير اجتماعي وأخلاقي، لأنه يحدد نمط العلاقات فيما بين الشرائح وفيما بينها وبين الدولة، وعلى هذا الوضع شرع الله للناس تشريعات وأحكام تكفل لوظائف الأسرة الطبيعية تلك أن تتجه صوب كمالها المرجو وتحقق لها المصالح المعتبرة على أتم وجه وأحسنه فحصل بذلك التكامل بين خلق الله وأمره ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ (الأعراف: 53)، وأول ذلك، تشريعه الذي ضمن به لمن التزمه تأسيسا للأسرة باعتبار أن أي خلل يشوب مرحلة تأسيس الأسرة -وهي أخطر مرحلة من حياتها- يعود بالضرر على الأزواج والأسر والمجتمعات"(3)، وأول مرحلة هي الطلائع الأولى لمرحلة الزواج، هذا الأخير الذي ورد ذكره في القرآن الكريم لعظم شأنه كرابط يجمع بين رجل وامرأة على ما أحل الله لهما.

الزواج في الإسلام "هو الأسلوب الذي اختاره الله للتوالد والتكاثر واستمرار الحياة بعد أن أعد الله كلا الزوجين وهيأهما، بحيث يقوم كل منهما بدور إيجابي في تحقيق هذه الغاية لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1)، ولم يشأ الله أن يجعل الإنسان كغيره من المخلوقات، فيدع غرائزه تنطلق دون وعي، ويترك اتصال الذكر بالأنثى فوضى لا ضابط له، بل وضع النظام الملائم لسيادته، الذي من شأنه أن يحفظ شرفه ويصون كرامته، فجعل اتصال الرجل بالمرأة اتصالا كريما، مبنيا على رضاها، وعلى إيجاب وقبول، كمظهرين لهذا الرضا وعلى إشهاد على أن كلا منهما قد أصبح للآخر، وبهذا وضع للغريزة سبلها المأمونة، وحمى النسل من الضياع، وصان المرأة من أن تكون كلأ مباحا لكل راتع"(4). وهذا هو الهدف الأسمى من قضية الزواج.

لا قيام للمجتمع ونهضته إلا بالأسرة، "فالأسرة هي المؤسسة الأولى من بين المؤسسات الاجتماعية المتعددة المسئولة عن إعداد الطفل للدخول في الحياة الاجتماعية، ليكون عنصرا صالحا فعالا في إدامتها على أساس الصلاح والخير البناء الفعال، والأسرة نقطة البدء التي تزاول إنشاء وتنشئة العنصر الإنساني، فهي نقطة البدء المؤثرة في كل مراحل الحياة إيجابا وسلبا، ولهذا أبدى الإسلام عناية خاصة بالأسرة المنسجمة مع الدور المكلفة بأدائه، فوضع القواعد الأساسية في تنظيمها وضبط شؤونها، وتوزيع الاختصاصات، وتحديد الواجبات المسئولة عن أدائها، وخصوصا تربية الطفل تربية صالحة وتربية سليمة متوازنة في جميع جوانب الشخصية الفكرية والعاطفية والسلوكية، ودعا الإسلام إلى المحافظة على كيان الأسرة وإبعاد أعضائها من عناصر التهديم والتدمير ومن كل ما يؤدي إلى شيوع البلبلة والاضطراب في العلاقات التي تؤدي إلى ضياع الأطفال بتفتت الكيان الذي يحميهم ويعدهم للمستقبل الذي ينتظرهم، وجاءت تعليمات الإسلام وإرشاداته لتخلق المحيط الصالح لنمو الطفل جسديا وفكريا وعاطفيا وسلوكيا، نموا سليما يطبق من خلاله الطفل أو إنسان المستقبل مقاومة تقلبات الحياة والنهوض بأعبائها، ولهذا ابتدأ المنهج الإسلامي مع الطفل منذ المرحلة الأولى للعلاقة الزوجية مرورا بالولادة والحضانة ومرحلة ما قبل البلوغ وانتهاء بالاستقلالية الكاملة بعد الاعتماد على النفس"(5). فالطفل ذو مركزية جوهرية في الفكر والتصور الأسري الإسلامي وفي العناية بمحضنه عناية مباشرة به.

الأسرة إذا مدرسة تربوية، سامية في مقاصدها نبيلة في غاياتها رائدة في بابها، فلا غنى للبشرية عن استلهام هذا النموذج الحضاري الإسلامي والاستفادة منه.

---

1 – منهج القرآن في تربية المجتمع، عبد الفتاح عاشور، مكتبة الخانجي بمصر، ط 1، 1399هـ/1979م، ص: 295.

2 – نظام الحياة في الإسلام، لأبي الأعلى المودودي، ص: 45–46، نقلا عن: منهج القرآن في تربية المجتمع، عبد الفتاح عاشور، مكتبة الخانجي بمصر، ط 1، 1399هـ/1979، ص:296.

3 – مقومات الأسرة في الإسلام، ذ. بهيجة الشدادي، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الدروس الحسنية، 1432هـ/2004م، ص:110.

4 – فقه السنة، سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1397هـ /1977م، ج:2، ص:7.

5 – تربية الطفل في الإسلام، شهاب الدين الحسيني، الناشر: مركز الرسالة، ط 2، ص: 7–8.

عصام عبدوس

الأبوة البائسة

يراهن علماء الاجتماع اليوم في أوروبا والعالم العربي على اعتبار الأسرة ركيزة كبرى في ثبات واستقرار البناء المجتمعي، وكذا الحفاظ على منظومته القيمية وهويته وخصوصياته، وينبثق عن هاته الأهمية مسؤولية منوطة بنواة الأسرة والقائمين عليها (الأبوين)، وإذا كانت الأم حاضنة شطر العطف والحنان وأقرب إلى قلوب الأبناء وأفهم لمكنونات صدورهم، فإن الأمر ليس أقل قيمة وأدنى أهمية بالنسبة للأب، فقد لوحظ في نتائج استطلاعات الرأي لشريحة واسعة من الأطفال الصغار والبالغين وكذا فئة عريضة من الشباب العربي تضجرهم وتأفف الكثير منهم من معاملة الأب وسطوته وجبروت أفعاله تجاههم، مما حدا بالمختصين إلى طرح التساؤل حول منبع الإشكال وأبعاده.

إن التفصيل في هاته القضية يستلزم منا وضعها في سياقها المجتمعي والتاريخي، ذلك أن جيل الآباء جيل قد شهد الهزائم بحق، جيل اضطهد في حقوقه وأشبع خوفا ورهبة من كل ما هو سلطوي أو حكومي داخلي، فهو جيل كانت الحرية بالنسبة له حلما جميلا لم يحصل عليه إلا بشق الأنفس، وهو ما يختلف كليا عن وضع أبناء في عالم مغاير لما سلف، عالم يعج بدعوات التحرر والعتاق من كل ما هو أثري قديم، وفي ذلك جانب من الصواب لم يستسغه الآباء الذين رأوا فيه ضربا من التسيب اللاّ أخلاقي، ونمطا من عدم الالتزام الديني والمجتمعي، يدعم أطروحتهم هاته معاناتهم السالفة وما قاسوه في سبيل الحفاظ على القيم والمبادئ.

ويشاء الله تعالى حدوث هذا الاصطدام في عصر الغزو الإعلامي والثقافي لأنماط العيش الغربية وأساليب التفكير القادمة من الآخر، ويجد الشباب المسلم الفراغ في نفسه والاضمحلال في ثقافته منفذا آخر يستمد منه ما ينقصه، ويعدم الآباء وسائل تقنية وأساليب حوارية تمكنهم من إيجاد أجواء تبادل للأفكار وإقناع الآخر، فيلجؤون إلى أساليب التهكم والقمع والسخرية من الفتى الشاب، ممارسين بذلك عنفا رمزيا معنويا يؤثر سلبا على نفسية الشاب وعطائه أكثر.

إن منهج الأبوة البائسة القائم على فرض الاحترام والتوقير بالقوة والعنف منهج غير ناجع ولا فعال بصفة مطلقة، فما أورثه من كره وبغض تجاه الأب أعلن فشله في تسيير منظومة الأسرة وبناء الأجيال.

أيها الأب:

– إن فتاك الذي تؤنبه وهو ابن العاشرة على لعبه مباراة كرة القدم أو انضمامه لفريق حيه في كرة السلة، لم ولن ينسى حالة منعك إياه، وسيظل يلعن الموقف كلما تذكره، فلتعلم أن القمع يورث الكره.

– إن فتاك الذي تصفعه وتخاطبه بأقبح الألفاظ وأقساها لمجرد أنه ناقشك في فكرة عرضتها عليه ولم يتقبلها فثارت ثائرتك لتصب جام غضبك عليه، كفيل بأن يخرج لك ابنا لا يكن لك احتراما ولا تقديرا.

أيها الأب:

– لا تظن أن أبوتك البائسة المزيفة المبنية على مبدإ الشدة وعدم احترام قرارات ورغبات ابنك، والتعامل معها بعقلية الموجه الناصح كفيلة بأن تحملك أوزار ما سيكون عليه مستقبلا، وآثام جيل يعقبه ما يدرى حاله.

عبد العظيم أنفلوس

من صفات المدرس الناجح (3): تحقيق صفة الذاتية

عبد الحفيظ حميش

لا يكتمل الحديث عن صفات المدرس الناجح إذا حصرناه في تحقيق الصفة العلمية، والتي كنا قد تحدثنا عنها في مقال سابق نشر بجريدة (المحجة العدد (466))، لذلك لا بد من إضافة عنصر آخر لا يقل أهمية عن سابقه، وهو الموضوع الذي اخترناه لهذا العدد بعنوان:

"تحقيق الصفة الذاتية"

لا شك أن من صفات المدرس الناجح تحقيق الصفة العلمية، وذلك عن طريق التمكن المعرفي والمهاري والسلوكي؛ كل ذلك له أهميته الخاصة، خصوصا إذا أحسن المدرس تنزيل ذلك على أرض الواقع بإجراءات ديداكتيكية وبيداغوجية، إذ سيكون ذلك أمرا حسنا، لكن الأحسن أن يحقق صفة أخرى تعزز الصفة السابقة، (الصفة العلمية) وهو ما يمكن أن يزيدها جمالا وكمالا، والتي عبرت عنها بالصفة الذاتية التي تتعلق بشخصية المدرس، إذ لا ريب أن ذلك يؤثر بشكل كبير في اكتساب العلم لدى المتعلمين؛ إما إيجابا أو سلبا، وهذا أمر علمي أثبتته مجموعة من التجارب المهنية، وتقره اليوم مجموعة من النظريات التربوية الحديثة، وحتى تتحقق الصفة الذاتية في المدرس الناجح ينبغي أن يتصف بصفات حميدة تتعلق بشخصيته التي يمكن إجمالها في الآتي:

1 – حسن الخلق:

إن تحقيق حسن الخلق من الأخلاق الحميدة التي حثت عليه الشريعة الإسلامية، وهو أمر مطلوب من كل إنسان مسلم؛ طالبا كان أو مدرسا أو عاملا...، لأن حسن الخلق أمر به القرآن الكريم في أكثر من آية قال تعالى مادحا نبيه محمدا ﷺ بقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم: 4) كما بينت السنة النبوية أيضا المكانة الرفيعة التي يتبوأها الإنسان المسلم في الجنة صاحب الخلق الحسن، حيث جاء في الحديث الذي أخرجه ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أقربكم مني منزلا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا في الدنيا»(1).

ولما كان المدرس باعتباره معلما للأجيال يقتدى به في الحال والأفعال والمقال؛ وجب عليه أن يتحلى بحسن الخلق حيث يتوجب عليه أن يحرص كل الحرص على عدم التلفظ بالكلام الساقط أمام المتعلمين، وأن لا يحتقر صغيرهم أو كبيرهم وأن لا يخوض في الحديث معهم في ما لا فائدة فيه.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن المطلوب من المدرس أن يكون لينا في تعامله غير شديد على المتعلمين، أما الشدة والحزم في موضع الجد فمطلوب ومرغوب فيه؛ لكن كل ذلك بمقدار معين لا إفراط فيه ولا تفريط، ولقد كان هذا النموذج يجسده لنا رسول الله ﷺ عمليا على أرض الواقع حتى خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ (آل عمران: 159).

هذه الآية الكريمة تجسد المنهج النبوي في الأخلاق والتي ينبغي لكل مدرس بل كل مسلم أن يجعلها النبراس التي يستقي منها منهجه وأخلاقه في التعامل مع الأولاد والمتعلمين بل ومع الناس أجمعين.

2 – حسن الهندام:

كثير من المدرسين يخطئون حين يظنون أن الهندام وارتداء الألبسة الجديدة والأنيقة من الأمور الشخصية لكل فرد، والتي لا علاقة لها بمهنة التدريس ولا يمكن أن يؤثر حال المدرس على اكتساب علم المعلمين بذلك في شيء؛ لا إيجابا ولا سلبا، وهذا خطأ شائع وفادح لأن المتعلمين يتعلمون من حال المعلمين قبل مقالهم وأفعالهم؛ وإذا حسنت الهيأة والحال نتج عن ذلك أثر إيجابي في مخاطبة المتعلمين، ويحصل عندهم الفهم والاستيعاب بشكل جيد، خصوصا حين يكون الهندام أو اللباس محتشما ومتناسقا في الألوان والأشكال، يعبر ذلك عن صورة متكاملة جميلة ومتميزة.

إذ معلوم أن المدرس يقف داخل الفصل أمام جمع غفير من المتعلمين، وتجد كل عيونهم تنظر صوبه وأعناقهم تشرئب إليه يلاحظون ويدققون في المدرس وفي طريقة كلامه وشرحه ونظراته وملامح وجهه ولباسه وفي كل تحركاته وسكناته، حتى إنك لتجد بعض المتعلمين يستطيع أن يقلد تلك الشخصية بحذافيرها في دقيق الأشياء صغيرة كانت أو كبيرة، وهذا ما يعني أن شخصية المدرس لها تأثير كبير في المتعلمين، لذلك ينبغي أن يستحضر المدرس أنه قدوة للمتعلمين، حيث يقتدون به في كل شيء في الأمور الصغيرة والكبيرة، ومن غير شك أن مثل تلك النماذج من المعلمين حققوا النجاح فاستحقوا أن تنطبق عليهم صفات المدرس الناجح.

3 – البشاشة:

مطلوب من الإنسان المسلم عموما ومن المدرس خصوصا؛ أن يكون دائما بشوشا مبتسما غير عبوس، لأن البشاشة والابتسامة في وجه الإنسان بمثابة صدقة في سبيل الله يحصل بها الأجر والفضل والثواب، قال النبي ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»(2).

وجاء في حديث آخر «ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»(3).

حين ما يكلف المدرس بمهمة كبيرة وراقية، وهي تربية الأجيال يكون له ذلك شرفا وفضلا فكيف لا يكون جميلا وأنيقا، مهتما بحاله ومقاله وفعله، دائم الابتسامة التي بها يدخل الفرحة والسرور على المتعلمين، خصوصا إذا ما علمنا أن ظروف المتعلمين ليست على وزان واحد، فهي تختلف من متعلم إلى آخر ومن عائلة إلى أخرى، بل ومن مكان إلى آخر، إذا وضع المدرس هذه الأمور في الحسبان يدرك أن الابتسامة والبشاشة في وجه المتعلمين والليونة في التعامل معهم هي عين الصواب، وليس من العبث أن يرتب الشرع الحنيف الأجر أو الوزر على كلمة واحدة حسنة أو سيئة، وذلك لما علم أن الكلمة الواحدة تخلف آثارا إما إيجابا أو سلبا، كما قد يكون ذلك في الحال أو المآل فهي غير بريئة من جلب مصلحة أو مفسدة، قال الله تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ (ق: 18).

بهذا المنهج الرباني الفريد يستطيع المدرس أن يخرج على يديه أجيالا من المتعلمين متميزين، حينذاك يمكن أن ينطبق عليه وفيه صفات المدرس الناجح.

---

1 – جامع الأحاديث، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د على جمعة ، ج36/2.

2 – الشيخ الطيب أحمد حطيبة، كتاب شرح الترغيب والترهيب للمنذري مرقم آليا موقع الشبكة الإسلامية www.islamweb .net.

3 – عطية بن محمد سالم، شرح الأربعين النووية، www.islamweb.net.

التدريس وفق نظرية الذكاءات المتعددة ودوره في إنصاف المتعلمين

عبد العالي مسعودي

لقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن أحداث الصراع التي تقع بين الأساتذة والمتعلمين داخل الفصل الدراسي، هذا الصراع الذي قد يكون سببه في البداية تافها؛ إلا أن التعامل معه بطريقة غير مسؤولة يجعله يتطور حتى يصل بالطرفين إلى ما لا تحمد عقباه.

ولهذا فإن البحث في الأسباب التي تؤدي إلى حدوث الصراع داخل حجرة الدرس واقتراح الحلول العملية المناسبة لتجاوزها، يعد من أهم ما ينبغي أن ينبري له أهل الاختصاص في علوم التربية، خصوصا في هذا الوقت الذي يعرف فيه العالم ثورة تربوية –إن صح التعبير– تسعى إلى القطيعة مع المناهج القديمة التي لا تلبي حاجيات المتعلمين، واكتشاف نظريات حديثة تستجيب لمتطلبات الجيل الجديد، وتنمي مهاراته المختلفة وتراعي فروقاته الفردية.

وإيمانا مني بأهمية البحث في هذا المجال فقد أبيت إلا أن أدلي فيه برأي عسى أن يجد القارئ فيه هدى للبحث أو يقرب من هذا الموضوع رشدا. فما هي الأسباب المفضية إلى وقوع الصراع بين التلميذ والمدرس؟ وكيف يمكننا تفادي تلك الأسباب؟

إن السبب الرئيس الذي يؤدي –في الغالب– إلى وقوع الصراع بين المدرس والتلميذ والذي قد تتفرع عنه باقي الأسباب الأخرى هو رغبة المتعلم في إشعار من حوله بوجوده داخل الفصل الدراسي، سواء بطرق إيجابية كالمشاركة في بناء الدرس وتقديم أعمال جديدة وطرح أسئلة مفيدة... أو بطرق سلبية تعبر عنها كل أعمال الشغب التي يمكن أن يقوم بها التلميذ داخل الفصل، الأمر الذي يدفع المدرس إلى محاولة قمع تلك الرغبة داخل نفسية المتعلم، فإذا كان تدخل المدرس إيجابيا فإن الأمور تمر في أحسن حال، وإذا كان التدخل سلبيا فإن الحالة تكون كما ترى في الواقع لا ما تسمع، وأعني بالتدخل السلبي: عمل المدرس على دفع السيئة بأسوأ منها؛ وهي النزول إلى مستوى المتعلم لتبادل ألفاظ السب والشتم، وجعل المتعلم بمرتبة العدو الذي ينبغي قهره بمختلف الوسائل، وهذا لا يعني أني أبرئ التلميذ وأحمل المسؤولية للأستاذ، إذ من واجب التلميذ احترام أستاذه كيف ما كان تعامله معه، ولكن أقدم صورة عن التعامل السيئ لبعض المدرسين تجاه المتعلم، والذي قد يكون سببا في وقوع الصراع بين الطرفين.

أرى أنه من الطبيعي جدا أن يسعى كل متعلم خصوصا في مرحلة المراهقة إلى إبراز كينونته داخل الفصل الدراسي من خلال التوظيف الإيجابي أو السلبي لمختلف الذكاءات التي يتوفر عليها، فتلك طبيعة الذات الإنسانية التي تريد فرض وجودها في محيطها الاجتماعي، وهو الأمر الذي يبرر القول بأن المدرس لا ينبغي أن يتضجر من بعض التصرفات التي قد تصدر عن المتعلمين وإن كانت غير تربوية، خصوصا إذا لم تكن متكررة، بل إنه يتعين على المدرس أن يستغل تلك التصرفات للكشف عن مختلف الذكاءات التي تتكون منها مجموعة القسم، وذلك من خلال بعض الإشارات التي توحي بها ممارسات المتعلمين؛ فالمتعلم مثلا الذي يحاول عند قراءته للنص تقليد صحفي مشهور أو معلق رياضي هو تعبير منه على وجود ذكاء لغوي يتمتع به، وأما المتعلم الذي يرتدي لباسا (عصريا) مخالفا للعادة، أو قد يحلق رأسه بطريقة مثيرة للدهشة أو يقوم ببعض الأعمال داخل القسم التي تبين أنه يحب لعب دور الزعامة، فما ذلك إلا إشارة منه إلى وجود ذكاء تفاعلي لديه، فلا ينبغي أن ننظر إليه نظرة احتقار أو كره؛ وإنما ينبغي احتضانه ومحاولة تعديل سلوكه بالتي هي أحسن.

وأما ذلك المتعلم الذي لا يهدأ من الحركة، فتجده تارة يلمس صديقة محاولا صرف انتباهه إليه، وتارة يعبث بأقلامه أو أوراقه، وتارة أخرى يعبث بأصابعه، فهو لا يهدأ من الحركة طوال الحصة فإنه ذو ذكاء حركي، وهكذا فإن كل سلوك قد يصدر عن متعلم أو مجموعة من المتعلمين فهو تعبير منهم عن ذكاء أو ذكاءات معينة، وما هذه الأمثلة التي قدمت إلا جزء من النماذج الكثيرة التي قد تحدث داخل الفصل الدراسي، التي ينبغي الاستفادة منها باعتبارها وضعيات تعليمية، تفسح المجال أمام المعلم والمتعلم لاكتساب معارف جديدة، ولهذا "فإن المتعلم الذي لا نراعي نوع ذكائه لنعلمه وفقه، قد يتغيب عن المدرسة إذا تكرر عدم إشراكه، أو يحضر ويحدث الفوضى في الفصل الدراسي، فضلا عن أنه لا يستطيع أن يستوعب معلومات الدرس حتى لو أبدى نية حسنة في التعلم". (أحمد أوزي. التعليم والتعلم الفعال ص 140).

وإذا كان من الأسباب المفضية إلى حدوث نزاع بين المتعلم والمدرس هو عدم قدرة هذا الأخير على الاستجابة لمختلف ذكاءات المتعلمين، وذلك من خلال اعتماد طريقة واحدة في التدريس قد لا تناسب إلا فئة قليلة من المتعلمين، فإن هناك اكتشافا علميا قد يجعل الكثير من المدرسين في منأى عن هذه المشاكل، إذا كانت هناك رغبة في العمل الجاد والمسؤول.

إن الأمر يتعلق باكتشاف العالم الأمريكي هوارد جاردنر لنظرية الذكاءات المتعددة التي جاءت لتعترف بمختلف القدرات التي يتمتع بها كل فرد من أفراد المجتمع، وتجاوز التصور الأحادي للذكاء، ووضع تصور تعددي لهذا المفهوم، "تصور يأخذ بعين الاعتبار مختلف أشكال نشاط الإنسان، معترفا باختلافاتنا الذهنية، وبالأساليب المتناقضة الموجودة في سلوك الذهن البشري" (أحمد أوزي. المعجم الموسوعي ص120).

فالذكاء حسب جاردنر ليس شيئا خارقا للعادة؛ وإنما هو عبارة عن قدرات تختلف باختلاف المجالات، تمكن الفرد من حل المشكلات، والقدرة على التكيف مع الوضعيات وإيجاد الحلول المناسبة لها، وعليه فإن لكل تلميذ يتمتع بقدر من الذكاء الحق في إظهار قدراته ومهاراته، ويكون من واجب المدرس مساعدته على تنمية ذكائه، وذلك من خلال العمل على "تفريد عملية التعلم، أي أن يعلم كل متعلم أو فئة من المتعلمين وفق أسلوب وطريقة تعلمها، بحيث يعمد إلى تقديم درسه بكيفيات مختلفة" (أحمد أوزي التعليم والتعلم الفعال ص139).

إن المدرسة العمومية اليوم بعدما تكالبت عليها المصائب من كل جانب، بقي لها أن تقف على أساس واحد وهو توطيد علاقة قوية بين المدرس والمتعلم تقوم على أساس الود والاحترام المتبادل، ويعول في هذا المقام كثيرا على سعي المدرسين إلى التنقيب عن الطرق والأساليب التي تنمي مختلف ذكاءات المتعلمين، وتستجيب لحاجياتهم الذاتية والاجتماعية، مما يجعل كل متعلم يحس بوجوده داخل الفصل، ومن ثم الإحساس بالمسؤولية في ضرورة الإسهام في بناء الدرس، وبذلك يكون المدرس قد حقق مبدأ الإنصاف بين المتعلمين الذي يعتبر من أهم أخلاقيات مهنة التعليم.

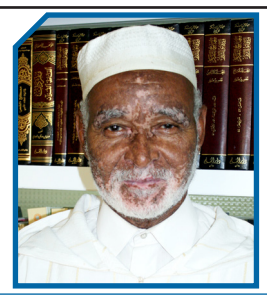

اللغة العربية لغة القرآن الكريم: مباني ومعاني 28

1 - شكل الكتابة: "المستوى الإملائي" أمثلة ونماذج-تابع

د . الحسين كنوان

تحدثنا في الحلقة الماضية (27) المحجة عدد 472 عن شكل كتابة البسملة في بداية الكلام أو وسطه، وحاولنا تعليل كتابتها بهذا الشكل أو ذلك مع التنصيص على وظيفتها الدلالية في كل حالة، ثم بدأنا عرض أمثلة لشكلي كتابة البنوة "بن"، مع الإشارة إلى علة كل مثال من أمثلة أنواعها الثمانية في جدول، وواعدنا بمحاولة تحديد وظيفة كل مثال ما أمكن بشكل نوع كتابته وعلتها مقرونة بعبارة ابن قتيبة، وذلك ما نشرحه فيما يلي:

1 – أ– ب– ج: هذا محمد بن عبد الله.

و7 – أ: زيد بن القاضي ومحمد بن الأمير.

هكذا يتضح أن "بن" كتبت بدون همزة الوصل في المثالين، والتعليل المقدم لهذين النوعين من الكتابة هو أن "بن" متصل بالاسم، وهو صفة في المثال (1) ومنسوب إلى لقب يغلب على اسم أبيه في المثال (7). وعليه يمكن القول بأن علة كتابة هذين المثالين بدون همزة الوصل واحدة، وتفيد علاقة الابن بالأب مباشرة بدليل إلحاق ما يغلب على تسمية الأب من لقب أو صناعة مشهورة بحكم اسمه الخاص في نسبة البنوة إليه، وفي الحالتين المشار إليهما برقم (1) و(7) يقول ابن قتيبة: "و"ابن" إذا كان متصلا بالاسم وهو صفة كَتَبْتَهُ بغير ألف، تَقُول: "هذا محمد بن عبد الله"... وإن نَسَبْتَهُ إلى لقب قد غلب على اسم أبيه أو صناعة مشهورة قد عرف بها كقولك: "زيد بن القاضي" و"محمد بن الأمير" لم تلحق الألف؛ لأن ذلك يقوم مقام اسم الأب". (أدب الكاتب لابن قتيبة، ص 184).

والعبارة التي تتضمن القيد المميز لكتابة كلمة البنوة بدون ألف الوصل هي قول ابن قتيبة: "إذا كان الكلام متصلا بالاسم وهو صفة". فالقيد الموجب لكتابة هذه الكلمة بهذا الشكل مركب من حالتين أولاهما اتصال هذه الكلمة بالاسم، وثانيهما تعليل هذا الاتصال بالوصفية، وللصفة وظيفة خاصة في التمييز بين رتب الاسم في مجال واحد، وفي هذا يقول ابن يعيش: "والغرض بالنعت تخصيص نكرة[1]، أو إزالة اشتراك عارض في معرفة[2]". فمثال صفة النكرة قولك: (هذا رجل عالم، ورأيت رجلا عالما... فرجلٌ عالمٌ أخص[2] من رجل). ومثال صفة المعرفة قولك: (جاءني زيد العاقل، ورأيت زيدا العاقل... فالصفة ههنا [العاقل] فَصَلَتْه من زيد آخر ليس بعاقل، أو أزالت عنه هذه الشركة العارضة).. إذ الأصل في الأعلام (أي الأسماء التي توضع لأسماء خاصة) أن يكون كل اسم بإزاء مسمى [خاص به].. (إلا أنه ربما ازدحمت عليه المسميات بكثرتها فيحصل ثم اشتراك عارض) [بين بعض الأسماء](1) فأتى بصفة لإزالة تلك الشركة، ونفي اللبس، (فصفة المعرفة للتوضيح والبيان) (وصفة النكرة للتخصيص، وهو إخراج الاسم من نوع إلى نوع أخص منه) وقوله: [أي الزمخشري الذي يشرح بن يعيش كلامه] والذي تساق له الصفة: "هو التفرقة بين المشتركين في الاسم" يريد أن الصفة تزيل الاشتراك الجنسي نحو رجل وفرس، والاشتراك العارض في المعارف، وقيل: (إنها للتخصيص في النكرات) (وللتوضيح[2] في المعارف على ما ذكرناه). ولما كان الغرض بالنعت ما ذكرناه من تخصيص النكرة، وإزالة الاشتراك العارض في المعرفة وجب أن يجعل للمنعوت حل تعرى منها مشاركة في الاسم ليتميز به، وذلك يكون على وجوه إما بخلقة نحو طويل وقصير، وأبيض وأسود ونحوها من الصفات الخلقية، وإما بفعل اشتهر به وصار لازما له، وذلك على ضربين: آليٌّ وهو ما كان علاجا نحو: قائم وقاعد، وضارب... ونفسانيٌّ نحو: عاقل وأحمق وسقيم... وإما بحرفة نحو: بزار وعطار وكاتب... (وإما[2] بنسب إلى بلد أو أب نحو: قرشي) وعربي وعجمي ونحو ذلك من الأسماء الخاصة التي لا توجد فيها مشاركة..." (شرح المفصل 47/3).

تعمدنا كتابة هذا النص رغم طوله من جهة، وتضمنه لصفتي النكرة والمعرفة من جهة ثانية، وذلك لتوضيح وظيفة النعت بصفة عامة، ثم التركيز على وصف المعرفة الذي يطابق المثال الذي نحن بصدد مناقشته "هذا محمد بن عبد الله". فكلمة "بن عبد الله" صفة لـ"محمد" وهو معرفة علم على شخص معين، ولذا يعرفونه بقولهم: "إنه اللفظ الذي يدل على تعيين مسماه تعينا مطلقا" (النحو الوافي لعباس حسن، 258/1).

وهذه الوظيفة الدلالية التي يختص بها الاسم العلم قد يشوبها نوع من الخلل؛ لأن نفس الاسم قد يحتمل الدلالة على أكثر من اسم واحد معين، وهذا ما نص عليه بن يعيش بقوله: "إلا أنه ربما ازدحمت المسميات بكثرتها فيحصل ثم اشتراك عارض)، ولأجل إزالة هذا الاشتراك المحتمل يؤتى بالصفة أي النعت بعد الاسم لتخصيصه، وهذا ما توضحه العبارات التي تحمل رقم (2) مما وضعناه بين قوسين في النص السابق التي منها: "جاءني زيد العاقل.. فالصفة ههنا فصلته من زيد آخر " لأن اسم زيد لا يسمى به شخص واحد في المجتمع وكذلك محمد وعلي وعبد الرحمن...).

ولذا يؤتى بالصفة لتعيين شخص معين من بين هذه الأنواع، وهكذا كل العبارات التي تحمل رقم (2) في النص الذي أوردناه لابن يعيش، ومنها ما يتطابق لفظا ومعنى مع المثال الذي نحن بصدد مناقشته "محمد بن عبد الله" وهو قوله: "وإما ينسب إلى بلد أو أب نحو قرشي) و"بن عبد الله" منسوب إلى الأب فعلا لا مجرد نسبة في درجة من درجات النسبة كما هو الحال في غير المثالين (1) و(7) ذلك أن المثال رقم (7). ملحق برقم (1)، ولذا قال ابن قتيبة بخصوصه: "وإن نسبته إلى لقب قد غلب على اسم أبيه، أو صناعة مشهورة قد عرف بها كقولك: "زيد بن القاضي" و"محمد بن الأمير" لم تلحق الألف؛ لأن ذلك يقوم مقام اسم الأب".

وبعد هذا يمكن القول إن حذف همزة الوصل من اسم البنوة قيمة خلافية تميز بين النسب المباشر الأصلي وبين رتبة من رتب النسب التي لا تمثل نفس العلاقة الموجودة بين الأب والابن. وقد يكون لهذا الاعتبار أثره القوي في تحليل النصوص الشرعية أو القانونية المتعلقة بحق من حقوق البنوة!.

أقلام وأعمدة

اللغةالعربية بين الجمود ودواعي النهوض

انتشرت اللغة العربية في أصقاع مختلفة خارج الجزيرة العربية بادئ عهد الفتوحات الإسلامية خلال فترتي الخلافات الراشدة والخلافة الأموية، والأمويون ساهموا بذلك حين عربوا الدواوين والعملات وضموا إلى الدولة الإسلامية مناطق شاسعة. وصارت العربية لغة السياسة والإدارة وكل العلوم والمعارف خلال الخلافة العباسية، وهذا النمو اللغوي تعاصر مع الازدهار في العلم والأدب، حين كتبت آلاف المجلدات والمؤلفات والمخطوطات بلسان العرب، غير أن اللغة العربية الفصحى كان يزيد تأثرها وتأثيرها في اللغات الأخرى للبلاد المفتوحة كلما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية.

أما خلال عهد الدولة العثمانية فقد غلبت حينذاك عوامل الركود، إذ برغم إيجاد العربية لموطئ لها كلغة دين في العديد من النواحي التابعة لحكم العثمانيين كالأناضول وبلاد البلقان فقد فقدت أهميتها في مجالي العلوم والآداب، وأخذت مسافة الخلاف تتسع بين اللهجات حتى أصبح بعضها غريبا عن بعض في النطق والتعبير. واللغة العربية الفصحى تراجعت تحديدا بعد ركود الاكتشافات العلمية وهجوع الابتكار، فصارت تبين معالم التقليد في العرب، ويقول في هذا جبران خليل جبران في مقالته الجميلة 'مستقبل اللغة العربية':

"حياة الإنسان موكب هائل يسير دائما إلى الأمام، ومن ذلك الغبار الذهبي المتصاعد من طريقه تتكون اللغات والحكومات والمذاهب. فالأمم التي تسير في مقدمة هذا الموكب هي المبتكرة، والمبتكر مؤثِّر، والأمم التي تمشي في مؤخرته هي المقلِّدة، والمقلِّد يتأثر، فلما كان الشرقيون سابقين والغربيون لاحقين كان لمدنيتنا التأثير العظيم على لغاتهم، وها قد أصبحوا هم السابقين وأمسينا نحن اللاحقين فصارت مدنيتهم بحكم الطبع ذات تأثير عظيم في لغتنا وأفكارنا وأخلاقنا"، على هذه الصورة ركدت اللغة بسبب ركود أهلها، وانحصرت في الكتب وانعزلت في المعاجم وتحنطت في الزخارف، وقد استمر هذا الانتكاس خلال القرون الأخيرة.

في بداية القرن الرابع عشر هجري شهدت اللغة العربية بعض الانتعاش نتيجة نهضة ثقافية حدثت في بلاد الشام ومصر، وقد نهض باللغة العربية الفصحى في الأدب جملة من الشعراء والأدباء ساهموا في إحيائها وبعثها، منهم أحمد شوقي وأمين الريحاني، لكن هذا النهوض باللغة العربية لم يمس حتى الآن الشق العلمي رغم انتعاشه في الجانب الأدبي، وقد عجزت الجامعات والمؤسسات العربية في تدريس العلوم باللغة العربية اعتقادا منهم أن هذه اللغة عاجزة عن هذه المهام وأن محتواها القديم لا يواكب تطور العصر، فيرد عليهم الشاعر حافظ إبراهيم وقد أخذته الحمية على هذه اللغة طويلا بأبياته التي تشتكي فيها الفصحى بنفسها:

وسعت كتـــاب اللّه لفظـــاً
وغاية وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيـــق أسمـــاء لمخترعـــات

وفي بيوت لامعة لاذعة يقول وديع عقل:

لا تقل عن لغتي أم اللغات
إنّها تبرأ من تلك البنـــات
لغتـــي أكـــرمَ أمّ لم تلـد
لزويها العرب غيرَ المكرمـات

اليوم يتحدث أكثر من 422 مليون نسمة اللغة العربية، لكنها عربية تميل إلى الغربية ميلها إلى الفصحى، وهي لغة رسمية في كل البلاد العربية وفي بعض البلدان غير العربية، لكن رسميتها راسبة كأنه كان في ترسيمها تحنيط لها، والعربية التي يتحدث بها بلد غزتها ألسنة أجنبية صارت معها لا تكاد تبين.

فاللغة هي جزء جوهري من هوية أية أمة، وتاريخ لغة هو تاريخ أمة بالأساس، والأمم التي تجهل تاريخها سوف تجهل مستقبلها، وما المستقبل سوى جزء من التاريخ الذي لم يُعْرف، فكيف يستطيع الإنسان أن ينسى ما لا يعرف إذا كان قد نسي ما يعرف! إنه جزء من الإنسان، ومتى نسي الإنسان تاريخه ولغته أو تناساهما فقد رمى بجزء منه لا يعوض لمن يقدر قيمة الأجزاء الإنسانية.

اللغة العربية الفصحى هي لغة الهوية والقرآن، بها تحدث العرب أول ما كانوا عربا، وبها نزل الكتاب المبين ليكون لكل البشر؛ هي لغة الجمال والجلال، بها خُلِدَت أبلغ القصائد، وبها دوّنت أبقى المنثورات؛ هي لغة التاريخ والمستقبَل، بها عرفنا تاريخنا، فكيف نعرف مستقبلنا بغيرها! هي نحن، ونحن لن نكون إلا بها، كما لم تكن هي إلا بنا!

زكرياء ازنود

من أوراق شاهدة

إني لأجد رياح النهضة لولا أن تفندون 2/2

فرق عميق وشاسع بين وضعية الجمود التي تلازم الفرد العاجز وتدفعه إلى النكوص وأكل القوت وانتظار الموت في قنوط تام، وحالة التململ التي تمور فيها مشاعر الفرد بين صحو وإغفاء، يقوده الإحساس بأن وضعية الجمود تلك ليست إلا طارئة وأن الأصل هو الارتقاء والصعود.

وإذا كان الشعور الأول الذي ولدته الحروب الاستعمارية على المسلمين وسريان قناعة التخلف العضوي الذي لا رجعة فيه، يكمن في الغور من نفسية المسلمين مع استحكام هذا الشعور وما نجم عنه من عجز تام عن مسايرة الركب الحضاري الغربي، فإن شعور التململ والصحو المغبش لاستعادة المجد الإسلامي الغارب تلح تباشيره كفلق الصبح، لا من بلاد المسلمين فحسب، بل من عقر بلاد الغرب؛ حيث أفادت مصادر مطلعة أن سنة 2025 ستشهد صعود الدين الإسلامي بشكل قوي بسائر بلاد الغرب، وتحديدا ببلاد بلجيكا، إذ ستصبح الديانة الإسلامية، في المرتبة الأولى بهذه البلاد.

وفي السياق تقول مطربة الراب الفرنسية ميلاني ديامس التي اعتنقت الإسلام في السنوات الأخيرة: "إنه دين الشعور بقيمة الحياة وهدفيتها.. اليوم أعرف ما الذي أفعله على ظهر الأرض.. لم أعد مجرد إليكترون حر أو حبة رمل في عاصفة رمل لا تدري ما تفعله.. هنا أنا الآن أعرف ما أفعله هنا..عندما تحصل على حب الله تحس أنك مدعوم".

وهذا التصريح العميق يجعل المرء يتوقف عنده لدلالة الرسائل التي يحملها.. وعلى رأسها رسالة الهدفية.

ففي ظل الانحرافات الأخلاقية الكثيرة والمنافية للفطرة كالشذوذ والاستعلان بالفواحش كما الدواب، تكثر الاضطرابات النفسية والمآسي الاجتماعية المترتبة عنها، لكن قارب التوحيد بمجدافي العبودية لله، حين يعبر بالإنسان نهر الحياة يحفظه من تلك الانحرافات والمآسي. وقد عبرت ديامس عن هذا الشعور ب "الدعم الإلهي" والاستقرار النفسي في تصريحات لمواقع أخرى وهي تصف مغادرتها لمركبة الصخب الفني والتحاقها بالعش الأسري.

وإنك حين ترى عبر فيديوهات موثقة اعتناق آلاف الأمريكيين من جيوش الغزو للعراق وغيره، للإسلام على سبيل الذكر، ثم وهم خلف الميكروفون يرفعون الصوت بالآذان ويتراصون للصلاة تترسخ لديك القناعة أن الغلبة لهذا الدين..

هي إذن مسألة وقت. ومع تسارع الزمان تتجلى علامات عودة هذا الدين العظيم قاصمة لكل سيناريوهات التشويش على هذه النهضة.

وقد لاحظنا في السنوات الأخيرة معالم جمة لهذا النهوض الحضاري المنتظر من خلال علماء غربيين اعتنقوا الإسلام وحججهم الدامغة، إذ يتحدثون بدقة موضوعية وعلمية عن نقط القوة التي تجعل من الإسلام الديانة الحق والمرشحة للعلو، [وإن برزت أصوات أخرى تزعم بأن السبق سيكون لدولتي روسيا والصين].

ثم هناك التدافع المبارك لأبناء المسلمين لتحقيق السبق العالمي في علوم دقيقة وقعوا فيها منجزات عملاقة، ونذكر على سبيل المزيد من القناعة بأن الشعوب الإسلامية قادرة على تحقيق الطفرة الحضارية الغائبة، أسماء لمخترعين مغاربة مذهلين بما قدموه للبشرية من ابتكارات جديدة، ونخص منهم الشاب العشريني يوسف آيت علي، وفي رصيده أكثر من عشر اختراعات، وقد حصل على شهادة التكوين من المكتب العالمي للملكية الفكرية في أمريكا لانكبابه على فئة ذوي الاحتياجات الخاصة وسعيه لتوفير اختراعات تيسر لهم حياتهم اليومية.. وهناك إبراهيم زريبة الذي استطاع اختراع أول جهاز في العالم لمحاربة الأمية عن بعد، ويسمح هذا الجهاز لمستعمله بتعلم القراءة والكتابة بطريقة ذاتية وشخصية في اتصال سمعي ومرئي مباشر مع المدرس الوسيط، ومع زملائه المتعلمين.. وهناك العالم المغربي الكبير رحمه الله الشاب عبد الله شقرون الذي ابتكر اختراعات مذهلة تعدت 35 اختراعا في المجال الحربي على وجه الدقة.. وهناك من يتحدث عن اغتياله لتميزه العلمي الذي أبهر علماء غربيين ضمنهم أمريكيين.. (مغرس نقلا عن جريدة المساء في مقال بتاريخ 12/27؛2011).

والطفرة العلمية إياها تقابلها طفرة دينية في مؤسسات وازنة تظهر هنا وهناك سواء ببلادنا أو ببلاد المشرق، وتنكب اللحظة على الإجابة على إشكالات النهضة من خلال عدة أوراش من بينها الورش الأدبي الملتزم بقضايا الشعوب وحاجتها إلى المرسى لقلقها الوجودي المتفاقم، وهناك العودة الملفتة لعلماء وازنين إلى ورش القرآن تحت "شعار القرآن علم وعمل". وهناك على صفحات الأنترنيت مواقع لتدبر القرآن الكريم ودورات تدريبية لقراءات تدبرية رسالية تتنزل فيها الرؤية المحمدية الراشدة للقرآن الكريم، وهي الرؤية التي حدت بالصحابة إلى التأني في حفظ السور حتى يعلموا بحلالها فيعملوا به وحرامها فيجتنبوه.

هو تململ مبارك إذن لركوب قطار النهضة، ويحتاج هذا التململ كما قال الدكتور ماجد عرسان الكيلاني في كتابه العميق: "التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند العربي المعاصر" إلى تنمية الفاعلية الفردية وعملية التجديد عبر مؤسسات تربوية تعي كيفية تحقيق النضج الكامل في شخصية إنسانها مع تضافر جهود مؤسسات الإدارة والأمن والتوجيه لحماية هذا النضج من الإعاقة والتشويه باعتبار أن هذا النضج شرط أساسي لفاعلية الإنسان وقدرته على تحقيق الإنجازات وحمل المسؤوليات ونجاح المشروعات.

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

معالم في التنشئة الفكرية السليمة للفتاة المسلمة

هناك خطوات رئيسة في البناء الفكري للفتاة، لابد أن يطبقها الوالدان مبكراً منذ مرحلة الطفولة، بحيث يتم توجيه أفكار الفتاة بشكل سليم كما أراد الله ﷻ لها، وتكتسب الحصانة الكافية ضد أي غزو فكري أو أفكار دخيلة تضر بها في أمر الدنيا والآخرة.

وأهم تلك الخطوات:

- ربط الفتاة بالقرآن الكريم مبكراً:

فالقرآن الكريم هو أساس حماية الفكر، ومنطلق الاعتدال والتوسط، يدعو إلى ذلك بآياته وأحكامه وأخلاقه، حيث أثبت للمسلم الهوية الواضحة، والشخصية المستقلة الرائدة لغيرها، المترفعة عن التقليد الأعمى والتبعية، كما نقّى القرآن الكريم عقل المسلم من الخرافة، والسحر، والشعوذة، والوهم، وإدعاء علم الغيب، كي لا تسيطر عليه الخرافات والأوهام التي يهذى بها أهل الشعوذة والدجل ومن نحا نحوهم، والقرآن الكريم دعا إلى تنقية العقل من الأحكام المبنية على الظنون والتخمينات، فالظن في الإسلام لا يغني عن الحق شيئاً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (النجم: 28).

كما حذّر القرآن من اتباع الهوى لأنه يحول بين الشخص وبين الوصول للمعرفة الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (المؤمنون: 71).

- الإجابة عن استفسارات الطفلة وأسئلتها:

إذا نشأت الطفلة -الطفل- نشأة طبيعية، فإنه وبحكم احتكاكها برفيقات اللعب والمدرسة والأقارب والجيران، تكثر ملاحظتها للأشياء والأحوال التي تحدث أمامها، وقد تعجز عن فهم طائفة منها، فتنشأ في عقلها العديد من الأسئلة المتوالية، كومضات الضوء الخاطف، وهي بدورها توجهها إلى والديها بحثاً عن إجابة لها..! والخطأ الجسيم الذي قد يرتكبه بعض المربين هو أن تضيق صدورهم عن الاستماع إلى أسئلة الأطفال في هذه المرحلة، ولكن يجب الاهتمام بإجابتها عن أسئلتها التي تثيرها مهما بدت سهلة، أو صعبة التناول، لأن ذلك يؤدي إلى إحباط تفكيرها، وإعاقة رغبتها المتنامية في المعرفة، كما تدفع بها إلى اللجوء لآخرين قد ينقلون إليها معلومات مشوهة أو خاطئة، على أن تكون الإجابات صحيحة وميسرة بالقدر الذي يتناسب مع فهمها.

- تربية الفتاة على استقلال التفكير، ونبذ التبعية أو التقليد الأعمى:

فالمربي الماهر هو الذي يقود أفكار أبنائه وتلاميذه من مرحلة إلى غيرها وصولاً بهم إلى الحق، دون أن يحملهم على مجرد محاكاته، وترديد ما يقول من غير روية ولا تفكير.

لذلك يتأكد تعويد الابنة منذ نعومة أظفارها على رفض التبعية والتقليد، وأن تستعمل عقلها في التفكير والبحث فيما يحيط بها من أمور، ولا تقلد أحداً دون تعقل وتدبر، حتى لا يحل بها ذلك الوصف السيء -الإمعة- الذي ورد في حديث النبي ﷺ: «لا يكن أحدكم إمعة، يقول إنّ أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنّوا أنفسكم إن أحسن الناس أحسنتم، وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم» (رواه الطبراني وصححه الألباني)، وبذلك تتربى على أنّ لها شخصيتها المتميزة، وتفكيرها المستقل.

- تعويدها على القراءة والمطالعة الواعية:

والفتاة في مرحلة التمييز ينمو ذكاؤها بشكل مطّرد، كما ينمو عندها التفكير الناقد، ويتحول التفكير من الحسّي إلى التفكير المجرّد اللفظي المعنوي كإدراك معنى الحق والعدل والمساواة، كما ينمو التخيل من الإيهام إلى الواقعية والإبداع والتركيب، وينمو لديها كذلك في هذه المرحلة حب الاستطلاع، وتميل إلى الاستماع للحكايات والقصص، لذلك ينبغي على الوالدين أن يضعا بين يدي ابنتهما مكتبة منزلية ولو صغيرة، كي تتسع مداركها، ويرتفع مستوى تفكيرها، وتزداد حصيلتها الثقافية والعلمية، وارتباطها بأمتها الإسلامية.

- اعتماد أسلوب الحوار الهادئ مع الابنة:

الحوار الهادئ ينمي عقلها، ويوسع مداركها، ويزيد من نشاطها في الكشف عن حقائق الأمور، كما أن تدريب الطفلة على المناقشة والحوار -بأدب وخلق- يقفز بالوالدين إلى قمة التربية والبناء، إذ تستطيع الطفلة عند ذلك أن تعبر عن حقوقها، وأن تسأل عن مجاهل لم تدركها، وبذلك تحدث الانطلاقة الفكرية لها.

وأخيراً عزيزتي الأم.. عزيزي الأب:

إنّ الاهتمام بالتربية الفكرية للفتاة يعني صياغة عقل أمهات المستقبل اللاتي سيقمن بدورهن التربية الصحيحة للأجيال القادمة، كما يعني في الوقت ذاته قطع الطريق أمام موجات التغريب والغزو الفكري الذي يستهدف فتياتنا وشبابنا بالدرجة الأولى.

فلنربِّ جيلاً قوياً يحمل الراية، ويأخذ بمبادرة القيادة والتوجيه، ويمثل القدوة والنموذج الذي يقتدي به شباب العالم أجمع إن شاء الله.

سحر شعير
موقع لهَا أون لآين

ومضة

نبض البراعم

تعوّد أن يزور كل صيف قريته النائية بين الجبال الوعرة، حيث جذوره وذكريات طفولته...

لا يدري لمَ يفر منه الأطفال هناك.. كلما رأوه يهربون بعيدا، يصرخون مذعورين: "الموت.. الموت!".

حاول أن يتقرب منهم.. سألهم عن سبب ذلك، أجابه أصغرهم من بعيد:

- إنك تحمل "الموت" إلى قريتنا!

سأله الرجل مستغربا:

- كيف؟!

رد الصغير باكيا:

- ألا تحمل إلينا كل سنة لباس الموتى؟! ذلك اللباس الذي ألبسوه لأبي ودفنوه في التراب.. وبعده ألبسوه لجدتي ودفنوها..!

صعق الرجل، لم يعرف بِمَ يجيب...

ولج الجامع.. وضع الأكفان التي اعتاد التبرع بها كل سنة لقريته.. وجد الأكفان القديمة مكدسة في مكانها... تساءل بحرْقة: "أحقا أصغر طفل هنا أعقل مني؟!".

غادر قريته يشق المسالك الوعرة.. وصل أقرب مدينة... اشترى ألبسة جديدة ولُعبا وحلوى... تساءل ثانية: "كيف غاب عن ذهني أن أطفال قريتي يواجهون البرد والثلج بأجساد هزيلة شبه عارية؟!".

صار كلما أقبل على القرية، يستقبله الأطفال يتهافتون عليه... يهديهم الفرح والأمل والحياة بدل "الموت".. ويهدونه السعادة في أعمق تجلياتها..!

ذة. نبيلة عزوزي

د. عبد المجيد بنمسعود

قبسات فكرية

الفصام النكد

مهما تعددت الأمراض والعلل والاختلالات التي يشكو منها مجتمعنا المغربي -شأنه في ذلك شأن سائر المجتمعات المندرجة في دائرة العروبة والإسلام- ويصعد جراءها زفرات عميقة، وأنينا مروعا يعكس مقدار الآلام والأوجاع التي تخترق أوصاله، بل وتنفذ إلى سويدائه، فإن المرض الذي يتصدر كل تلك الأمراض، رغم شراستها ووبالها، وما تخلفه من خسائر وفواجع، وانكسارات وتصدعات في كيان المجتمع، وحياة الناس على اختلاف شرائحهم وطبقاتهم، هو مرض الفصام، لسبب واضح وبسيط، هو كون ذلك المرض نتاجا وبيلا لمجمل تلك الأمراض جميعا، فهو يمثل ذروة الاختلال، أو الدرجة القصوى من التفكك والانحلال، الذي يصيب النفوس بالإنهاك، ويهددها، في حالة التمادي والاستمرار، بعاقبة الفناء والاضمحلال، عبر تآكل القدرة على المقاومة أو إيقاف زحف جراثيم الداء، وعوامل الوباء.

إن المفروض في الذات الفردية أو الذات الاجتماعية لتكون في حالة الصحة والتوازن والسواء، أن تقوم مكونات كل منهما على التماسك والانسجام، وعلى الوئام والسلام، كما أن هذا الانسجام المتمثل على مستوى كل من هاتين الذاتين أو هذين الكيانين على حدة، لا بد من أن يجد صيغته العليا وتجلياته القصوى، في التجاوب العميق فيما بينهما، فيما يشبه الروح العام، الذي يهيمن على المشهد العام، بجميع تفاصيله وتجلياته. ويصح هنا أن نقتبس من القاموس القرآني مصطلحا كفيلا بوصف هذا المشهد الناصع، إنه الكلمة السواء، أو ضميمة الدخول في السلم كافة، أما إذا كان وضع كل من الذاتين (الذات الفردية، والذات الاجتماعية) خاضعا للتضارب والانقسام، والتصارع والاختصام، فإن ذلك لابد أن يؤول إلى الانفصام الذي جاء الإسلام ليحرر منه الفرد والمجتمع على حد سواء، وليفتح الباب على مصراعيه لإقامة حضارة الإنسان الراشد والرشيد الذي يفي بشروط الاستخلاف، وتتحقق عل يديه عوامل إسعاد الإنسانية جمعاء.

وبيان هذه المعادلة الصعبة التي يؤطرها الإسلام على أساس الفطرة ووحدة الخلق المعبرة عن وحدة الخالق ﷻ، هو أن شروط الوجود الثقافي، لا بد أن تكون شروطا سليمة، بحيث تمثل مجالا حيويا، وأرضا خصبة تنمو فيها شجرة الفطرة وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. ومن طبيعة الأمر، أن يكون ذلك الأكل هو كل ما يقدمه الإنسان على مستوى العطاء الحضاري، من ثمار ومنتجات وإبداعات، ترتقي بإنسانية الإنسان، وتفتح أمامه آفاقا رحبة للتألق والازدهار، والتدرج في مدارج السمو الروحي، وذلك لا يتأتى إلا عن طريق الاستجابة لأمر الله تعالى التي تمثل جوهر الحياة الحق، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: 24). فمن عجيب أمر الله أن النجاح في تجسيد المعادلة الصعبة الآنف ذكرها وتحقيقها على صعيد المجتمع الذي رضي بالإسلام دينا، يكون هو عين الحياة، ولن تتأتى الحياة خارج نطاقه أبدا، إلا أن تكون حياة منكرة على غرار تلك التي ورد ذكرها في سياق وصف بني إسرائيل، في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾ (البقرة: 96).

ولن تعوزنا الوسيلة، عند اغترافنا من كنوز القرآن، واسترشادنا بجهازه المصطلحي المنير، لنضع أيدينا على ما يعبر أبلغ تعبير، ويصف أدق وصف، نوعية المعيشة التي ينتفي في ظلها تحقيق المعادلة الذهبية المتمثلة في إيجاد التوافق والانسجام، بين وجود الإنسان وحركته على هذه الأرض، وبين مراد الله المتمثل في تطبيق شرعه الحكيم، إنها «المعيشة الضنك»، فمما لا شك فيه، أن هذه المعيشة المتسمة بالبؤس والانحطاط والانكدار والاختناق، هي عين ما تمثله تجليات أو إفرازات الفصام.

يمكننا الاستنتاج مما سبق، أننا أمام فصامين: يتسم أحدهما بطابع قسري، وهو الفصام بين شرع الله ﷻ، وبين حركة المجتمع، والحيلولة دون خضوع هذه لذاك، و يتسم الثاني بطابع تلقائي حتمي، يتمثل في فعل التمزيق الذي يخلفه النوع الأول على شخصيات الأفراد وشخصية المجتمع، فلا مناص من حدوث الآثار التدميرية التي يتركها هذا النوع من الفصام النكد على مستوى البناء النفسي والاجتماعي، فنكون أمام ظواهر نفسية واجتماعية بالغة التعقيد والشذوذ، تتمثل في الاكتئاب والاضطراب، وازدواجية المعايير والسلوك، ومن ثم نكون أمام مجتمع مريض منكوب، محروم من الشعور بالسعادة والرضا، مجتمع يغلب على أفراده الشعور بالقهر، يستوي في ذلك المترفون والمعدمون، وما بينهما من فئات وشرائح.

> إ ننا أمام فصامين: يتسم أحدهما بطابع قسري، وهو الفصام بين شرع الله ﷻ، وبين حركة المجتمع، والحيلولة دون خضوع هذه لذاك، و يتسم الثاني بطابع تلقائي حتمي، يتمثل في فعل التمزيق الذي يخلفه النوع الأول على شخصيات الأفراد وشخصية المجتمع

وستظل مجتمعاتنا ترسف في أغلال هذا الفصام النكد والمقيت، إلا أن تقوم في المجتمع عملية جذرية شاملة تستهدف تحطيم تلك الأغلال، وتذويب حلقاتها العاتية، من خلال أوبة صادقة إلى رحاب الإسلام، ومعانقة ميثاقه، وتجديد العهد مع الله ﷻ، عبر استراتيجية شاملة ومحكمة تقوم على التخلية والتحلية، وتستمد قوامها من الجمع بين تلاوة الآيات، والتزكية وتعليم الحكمة مصداقا لقول الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة: 2).

الرباط: قضايا تطوير جودة التربية والتعليم على مائدة المؤتمر العام السابع لاتحاد جامعات العالم الإسلامي

انطلق يوم الاثنين 13 فبراير 2017 بالرباط المؤتمر العام السابع لاتحاد جامعات العالم الإسلامي الذي يضم في عضويته 314 جامعة ومعهدا عاليا. لتدارس قضايا تتعلق برفع جودة التعليم وتحسين المردودية، وسيتدارس المؤتمرون مشروع خطة العمل والموازنة للسنوات 2016-2018، ومشروع (البرنامج المتكامل لتعزيز التبادل والتعاون بين الجامعات الأعضاء)، ومشروع (آلية قياس أداء جامعات العالم الإسلامي وخريطة طريق تنفيذه)، ومشروع (المرصد الإسلامي للعلوم والتكنولوجيا والابتكار الذي سيرصد أفضل الممارسات وأنجح التجارب داخل الجامعات الأعضاء، لتعميمها وتسهيل تبادلها، وفي كلمة الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» في الجلسة الافتتاحية أكد على أن الاستثمار في التعليم يبقى «البناء السليم للنهضة والتقدم، ورافعة للتنمية الشاملة المستدامة التي من شأنها تحقيق طموح الشعوب الإسلامية إلى بناء مستقبل أفضل للأجيال المقبلة».

وكشف التويجري، عن خطة جديدة تهم تخليق الجامعات، عبر مشروع «مركز أخلاقيات التعليم الجامعي والبحث العلمي» الذي يدخل ضمن مشاريع خطة العمل للأعوام (2016-2018)، التي ستعرض على المؤتمر.

بنبض القلب

ذ: أحمد الأشهب

موعدنا الربيع القادم

هل فعلا يصدق فينا كلام الكاتب «مونتيسكيو» حين وصف الأمم الشرقية في كتابه «رسائل فارسية» بأنهم تعودوا على الاستبداد حتى أضحى طبيعة ملازمة لهم؟.. إن طول زمان القهر يحول النفوس إلى ركام من الخمول، واستمراء الهوان، لكن مهما طال الزمان فلا بد أن يأتي يوم لتصحيح الخلل، وإعادة ترتيب العلاقة بين الحاكم والمحكوم، والربيع العربي الذي عاشته عدد من الدول العربية ما هو إلا تطور طبيعي لسيرورة التاريخ الذي يأبى أن يسير في خط مستقيم!.. غير أن استبداد الكراسي يحول دون بلوغ المراد من أي تغيير ترومه الشعوب. وحينما يتفخم الأنا لدى الحاكم المستبد حتى يصير عقدة نفسية يتصور من خلاله أن البلاد لا يمكن أن تستمر بدونه. وهو ما جعل الكثير ينقلب على الشرعية؛ نتذكر من غير أن نطوف بالأسماء، الرئيس المخلوع زين العابدين بن علي، فبعد انقلاب سنة 1987 روج إعلامه أن تونس تعيش مرحلة تأسيس الجمهورية الثانية بحيث لا يحق للرئيس أن يترشح لأكثر من ثلاث ولايات، وما كادت الولاية الثالثة تنتهي حتى انطلق نفس الإعلام المأجور يروج لمقولة «لا تونس بدون بن علي»، نفس الحالة عشناها مع الرئيس الغامبي «يحيى جامع» وهو يرفض نتائج صناديق الاقتراع، ويعلن الأحكام العرفية في البلاد...

إن الفوضى التي عمت بلدان الربيع وأدت إلى احتراب داخلي قوض الأمل في تأسيس أنظمة ديموقراطية، ما هي إلا حالة أخرى من حالات الاستبداد القهري الذي يسكن أنظمتنا السياسية، سواء تلك التي تستبد بالحكم أو تلك التي تدخل في خانة المعارضة، إذ أن هذه الأخيرة ما إن تسنح لها الفرصة في اقتلاع جذور الأولى حتى تقلب ظهر المجن لشعوبها، وتصبح أكثر ضراوة من سابقاتها... لكن مهما بدا لنا الأفق مظلما فشمس الربيع لابد أن ترسل أشعتها على الأمم المستضعفة، ولا بد للياسمين أن يزهر سواء في هذا الربيع أو في الربيع القادم، غير أن أجمل ربيع حياة الأمة هو أن تنضج ثمرة الديموقراطية في حديقة الشعوب بطريقة طبيعية من غير تعديل وراثي...

المغرب ثاني أكبر مستثمر إفريقي في القارة السمراء

أصبح المغرب ثاني أكبر مستثمر إفريقي في القارة، بعد جنوب إفريقيا، وبحسب تقرير مركز تحليل التابع للمكتب الشريف للفوسفاط، فقد أبرم المغرب مع دول جنوب الصحراء الإفريقية نحو 500 اتفاق تعاون منذ 2000، وتستقبل دول إفريقيا جنوب الصحراء 62.9 بالمائة من الاستثمارات الأجنبية المغربية في العالم.

وفي تعليقه على هذه الأرقام، كتب موقع "نيوز 24" الجنوب إفريقي، أن المغرب يواصل تعزيز إستراتيجيته في إفريقيا لصالح المشاريع الكبرى التي تم إطلاقها في القارة، بما في ذلك المناطق التي تعتبر حتى الآن، أراض خلاء من بينها إفريقيا الشرقية. مبينا أنها استراتيجية تؤطرها رؤية تقوم على مبدأ رابح/رابح ، وتضع الاقتصاد في صلب هذه الإستراتيجية.

أرقام رسمية: حوالي 1،68 مليون شاب مغربي لا يعملون ولا يدرسون

قالت مذكرة إخبارية صادرة عن المندوبية السامية للتخطيط، مؤسسة رسمية بالمغرب مكلفة بالإحصاء، إن ما يقارب مليون و685 ألف شاب، تتراوح أعمارهم ما بين 15 و24 سنة، لا يعملون ولا يدرسون ولا يتابعون أيّ تكوين، أي ما يصل إلى شاب من كل أربعة شباب في هذه الفئة العمرية.

الحكومة الإسرائيلية تصادق على صيغة معدلة لمشروع قانون "تقييد الأذان"

صادقت اللجنة الوزارية الإسرائيلية لشؤون التشريع، يوم الأحد -12 02-2017، على صيغة معدلة لمشروع قانون "تقييد الأذان"، تمهيدا لطرحه للتصويت عليه في الكنيست (البرلمان). ومما ينص عليه مشروع القانون منع استخدام مكبرات الصوت في بث الشعائر الدينية، من الساعة الحادية عشرة ليلا، وحتى السابعة صباحا، وفرض غرامات تصل إلى 1200 دولار على المساجد التي ستمتنع عن تطبيق القانون، في حال تم إقراره بشكل نهائي.

ويعارض المسلمون في إسرائيل مشروع القانون بشدة، ويقولون إنه يستهدف "أذان الفجر".

"غزة سكاي جيكس" مشروع رائد لتطوير تطبيقات الحواسيب والهواتف الذكية

ضمن فعاليات مشروع يعرف باسم "غزة سكاي جيكس"، اجتمع نخبة من الشباب المبدعين في إحدى القاعات الكبيرة في غزة لتطوير تطبيقات للحواسيب والهواتف الذكية، ورغم ظروف الحصار الإسرائيلي الصعبة فإن هناك أمثلة كثيرة على فرص النجاح والإبداع لهذا المشروع.

تأسس هذا المشروع سنة 2011 وهو يوفر مساحة عمل مشتركة حيوية ويعمل على تغذية الابتكار وروح المبادرة في قطاع غزة، وقد طورته منظمة الإغاثة الأميركية "ميرسي كوربس" التي تقدم فرص عمل لمصممين ومبدعين ورجال أعمال، كما تتيح إمكانية التواصل وإقامة ورشات عمل، ويحظى المشروع بتشجيع فاعلين آخرين مثل غوغل وغيرها من الشركات.

رئيس تركمانستان يفوز بولاية ثالثة

انتهت الانتخابات التي أجريت بتركمانستان الأحد 2017/02/12 بإعلان فوز رئيس البلاد قربان قولي بردي محمدوف الذي يحكم البلاد منذ 2007 بولاية رئاسية ثالثة بنسبة 98% من الأصوات في التصويت الذي تنافس فيه مع ثمانية مرشحين لا يعرف الكثير عنهم. وقد سبق للرئيس أن فاز في انتخابات 2007 ب 89%، وفي انتخابات 2012 ب 97.14% من الأصوات. وقبل وصوله للسلطة كان قربان يشغل منصب الطبيب الخاص لسلفه صابر مراد نيازوف قبل أن يصبح وزيرا للصحة.

أستاذ بكلية الطب: تدريس العلوم بما فيها الطب يجب أن يكون باللغة العربية

تفاعلا مع الأثر الإيجابي الذي تركه إقدام الطبيب عدنان العلوي الإسماعيلي على إعداد أطروحته للدكتوراه باللغة العربية، والتي تحمل عنوان "الطب المجتمعي والصحة العمومية"، قال أستاذ الأمراض الصدرية جمال الدين بورقادي إن "تدريس العلوم بصفة عامة والعلوم الصحية بصفة خاصة يجب أن يكون باللغة الوطنية، لأنها ستسهل على الطالب الفهم والاستيعاب، دون أن ننسى الانفتاح على اللغات التي لها وزن عالمي، وحاليا هي اللغة الإنجليزية وليست الفرنسية".

وأضاف بورقادي، في تصريح أوردته وكالة الأناضول، أنه بالرغم من قلة رسائل الدكتوراه التي أنجزت بالعربية في كليات الطب، فإن الطلبة بدؤوا يستحسنون هذه الرسائل وخلاصاتها، إذ يفهمون مضمونها بشكل أسهل وأحسن وأسرع. مشيرا إلى أن البحث العلمي في الكلية سيشهد مستقبلا ظهور رسائل جامعية أخرى باللغة العربية..

أخبار سريعة

● **فيلدرز يدعو لطرد الإسلام من هولندا**

دعا رئيس حزب الحرية الهولندي اليميني المتطرف خيرت فيلدرز إلى "طرد" الإسلام من هولندا، وساوى بين القرآن الكريم وكتاب "كفاحي" للزعيم النازي الألماني أدولف هتلر.

● **بنك المغرب: تزوير العملات في المغرب يتم بطريقة "بدائية"**

كشف تقرير لبنك المغرب أن عملية تزوير الأوراق البنكية المغربية تظل بدائية وتعتمد على استخدام الطابعات وآلات النسخ بالألوان، موضحا أن رصدها يتم بشكل سريع بفضل التدابير التي اتخذها بنك المغرب في إطار السياسة الورقية البنكية النظيفة، وكذا جهود السلطات الأمنية المغربية في محاربة تزييف العملة. وقلل بنك المغرب من ظاهرة تزييف الأوراق البنكية، مؤكدا أن نسبتها مازالت محدودة دون العتبة التي حددها بنك المغرب في 20 ورقة بنكية مزورة من كل مليون ورقة متداولة.

● **ألمانيا: 91 اعتداءً على المساجد في 2016**

أعلنت الحكومة الألمانية الفيدرالية أن عدد الاعتداءات على المساجد في عام 2016، بلغ 91 اعتداء، وفق ما نشرت وكالة أسيوشيايتد برس الإخبارية.

● **مرصد الإسلاموفوبيا تحذر من خطر تفشي العنصرية بالغرب**

أكد مرصد الإسلاموفوبيا التابع لدار الإفتاء المصرية أن خطر تفشي العنصرية والطائفية في الغرب لا يتوقف عند المسلمين فحسب، بل يمتد ليشكل تهديدًا للحضارة الغربية بشكل عام، وذلك في أعقاب تأكيد سلطات التحقيق الأمريكية أن حريق المركز الإسلامي في تكساس كان متعمدًا.

● **القضاء الإسباني يسمح لموظفة مطار بارتداء الحجاب**

أمر القضاء الإسباني شركة طيران اتخذت إجراء عقابيا بحق موظفة بسبب ارتدائها الحجاب بالتعويض على هذه الموظفة، والسماح لها بالعمل وهي محجبة. معتبرا أن ارتداء الحجاب يتعلق بحرية العبادة المصانة في الدستور.

● **مركز الإحصاء الإسرائيلي: ثلثا اليهود في القدس من المتدينين**

قال مركز الإحصاء المركزي الإسرائيلي إن ثلثي اليهود الذين يسكنون في مدينة القدس، هم من «المتدينين» و«المتدينين جدًا».

● **حظر الاحتفال بعيد الحب في باكستان**

ذكرت صحيفة اكسبريس تريبيون أن محكمة إسلام أباد العليا حظرت الاحتفال بعيد الحب في باكستان. وتجدر الإشارة إلى أن المحكمة اتخذت هذا القرار بعد أن نظرت في الالتماس، الذي يقول أن عيد الحب ليس جزءا من التقاليد الإسلامية. ووفقا للمحكمة يمنع الاحتفال بعيد الحب سواء عل المستوى الرسمي أو بين السكان، وبالإضافة إلى ذلك منعت السلطات وسائل الإعلام من الإعلان عن هذا العيد.

● **حماس تنتخب قائداً جديداً لها في غزة خلفاً لهنية**

أكدت مصادر فلسطينية، الاثنين 13 فبراير 2017، أن الانتخابات التي شهدتها مؤسسات حركة حماس في قطاع غزة، أسفرت عن انتخاب يحيى السنوار "55 عاماً" رئيساً للمكتب السياسي في غزة خلفاً لهنية، فيما انتخب خليل الحية نائباً له. وحسب قناة الجزيرة فإنه من المقرر أن تنتخب الحركة قيادتها في الضفة الغربية قبل أن تجرى انتخابات المكتب الرئاسي الذي يعد إسماعيل هنية الأوفر حظاً لرئاسته.

● **جوتيريش: مجلس الأمن وقف عاجزا أمام أزمات دولية**

أكد الأمين العام للامم المتحدة "أنطونيو جوتيريش" أن مجلس الأمن الدولي وقف عاجزا أمام بعض الأزمات التي يشهدها العالم بسبب الانقسامات، ولاسيما الأزمة السورية، مشيرا إلى أنه ملتزم أخلاقيا بوضع كل خبراته لمنح السلام فرصة ودفع الدبلوماسية لحل الازمات الدولية.

مع عبد الله الطيب (2)

لآلئ وأصداف

يلتقطها أ.د. الحسن الأمراني

كان شيخي د. عبد السلام الهراس هو من عرفني إلى أستاذي د. عبد الله الطيب، وكنت يومها أمر بمحنة البحث عن مشرف على رسالتي الجامعية في الأدب الجاهلي، بعدما سُحب الإشراف من أستاذي المصري الذي نُقل من كلية الآداب بفاس إلى كلية اللغة العربية بمراكش، فألغي تسجيل طلبته تلقائيا، وكانوا قلة، وقد حدثني عن بعض أسباب ذلك، مما لا أريد نشره، فنقلتُ ملفي إلى الرباط بعد قبول أستاذ سوري الإشراف على البحث، وكان مشهودا له بالعلم، ويشترك مع د. عبد الله الطيب في الصرامة العلمية، ومن أمثلة صرامته أنه أشار علي يوما بالعودة إلى كتاب نادر، ولما رجعت إليه بعد مدة معتذرا بعدم عثوري عليه، لم يقبل عذري، وقال لي: ابحث عنه في أي مكان.. في مصر أو الشام أو الهند أو أوربا، ولا تعتذر. وبعد اجتهاد وجدت الكتاب بالمغرب، دونما حاجة إلى السفر. إلا أنني استفدت من موقفه ذاك درسا عظيما، وقد سافرت بعد ذلك فعلا إلى عدة بلدان سعيا وراء بعض المصادر، كان منها باريس والحجاز والهند ودمشق، يوم كنت معنيا بالبحث في أبي الطيب وما إليه. وقد بقي ملف تسجيلي للماجستير معلقا بكلية الآداب بالرباط زمنا طويلا، وأنا أتابع البحث العلمي مع أستاذي، معتبرا أن التأخر في قبول ملفي بالرباط لا يعدو أن يكون إجراء إداريا بحتا، إلى أن أخبرني أستاذي يوما أنه لا يمكن متابعة الإشراف دون الحصول على شهادة التسجيل الرسمي، فلما قلت إن الأمر مسألة إدارية تحل مع الوقت، أخبرني أن ملفي لن يقبل في كلية الآداب بالرباط بحال، لأسباب ذكرها لي. فوليت وجهي نحو أستاذي عبد السلام الهراس مستشيرا، فقال لي: أبشر، لقد التحق بنا أستاذ عظيم، هو الدكتور عبد الله الطيب. وهكذا صار هذا الرجل مشرفا على رسالتي، ورزقني الله بذلك صحبة علمية وتربوية ما كانت لتتحقق لولا ما حيك من مؤامرات، فتحققت بذلك في حقي الآية الكريمة: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم﴾.

والغريب أن محنة الماجستير تكررت عندما أردت متابعة بحثي للدكتوراه مع د. عبد الله الطيب. فقد دفعت ملف التسجيل موقعا من المشرف إلى إدارة التسجيل، ولكن التسجيل لم ينجز. وكنت كلما سألت تقدمت الكاتبة بعذر، أعلم أنهم يلقنونها إياه، حتى صرت مشفقا عليها من كثرة الأعذار. فمرة قالت إن ملفي ضاع، وإنّ علي تقديم ملف جديد، ومرة قالوا إن موضوع بحثي في الاستشراق الفرنسي، والمشرف (يعنون عبد الله الطيب) لا يعرف الفرنسية. وهي حجة أوهى من حجة نحوي كما يقال، فالأستاذ متمكن من اللغة الفرنسية، تمكنه من الإنجليزية، حتى قبل أن يلتحق بالمغرب، وكانت زوجته الإنجليزية جوهرة هي التي ألحت عليه في تعلمها. وهكذا دواليك. فلما يئست حولت التسجيل إلى كلية آداب الرباط.

كانت الحفاوة التي كان يستقبل المرحوم عبد الله الطيب بها طلابه بالغة، وكان لا يضجر ولا يتأفف من الزيارات، متى ما أحسّ أن الزائر بحاجة إلى علم. وخلال زياراتي المتعددة أفدت علما عظيما منه. وقد سألني أستاذ مقتدر، بعد مناقشة رسالتي، عما أفدت من عبد الله الطيب، فقلت: أشياء كثيرة، فسألني: مثلا، فقلت: المنهج. فنظر إلي باستغراب وقال: كيف؟ عبد الله الطيب لا منهج له. وعجبت عجبا شديدا من هذا الحكم، وأن يصدر من أستاذ مشهود له بالعلم والفضل، ولكنني لم أعلق. وقبل أن أشير إلى بعض معالم المنهج الذي استفدته من عبد الله الطيب، أنقل بعض ما قاله طه حسين عن عبد الله الطيب وعن منهجه، رغم ما نعلمه عن طه حسين من شحّ في الثناء على عالم أو أديب، فهو لا يتردد مثلا في أن يصف شاعرا أجمع المصريون على شاعريته، وهو محمود أبو الوفا، بأنه ليس شاعرا، بل هو (نظام)، ويتناول بالنقد، في حديث الأربعاء، (جداول) إيليا أبي ماضي، فيحكم على لغة الشاعر الكبير بأنها إن لم تكن ضعيفة فهي أقرب إلى الضعف والركاكة. بل هو حكم على زميله محمد حسين هيكل بحكم شبيه بذلك، هذا وهو من مدرسته، فكيف لو أخذنا رأيه في خصومه من أمثال الرافعي؟ ومع ذلك فإن طه حسين لم يقل في عبد الله الطيب إلا خيرا.

فمما قاله في تقديمه لكتاب «المرشد الى فهم أشعار العرب»: «هذا كتاب ممتع إلى أبعد غايات الإمتاع لا أعرف أن مثله أتيح لنا في مثل العصر الحديث».

وطه حسين الذي اشتهر عنه أنه قال: (ويل للأديب إن رضي أو اطمأنّ)، ولم يكد شيء يرضيه كل الرضى، يقول مطمئنا إلى حكمه على عبد الله الطيب وكتابه: «ثم لم أكد أقرأ منه فصولا حتى رأيت الرضى عنه والإعجاب به يفرضان عليّ فرضا».

ووصف الكتاب قائلا: «طرفة أدبية نادرة حقا لن ينقضي الإعجاب بها والرضى عنها لمجرد الفراغ من قراءتها، ولكنها ستترك في نفوس الذين سيقرؤونها آثارا باقية». ويرى «أن خير الآثار الأدبية عنده وعند كثير من الناس ما أثار القلق وأغرى بالاستزادة من العلم ودفع إلى المناقشة وحسن الاختيار».

وأما عن منهج عبد الله الطيب فيقول طه حسين: إن الرجل «لاءم بين المنهج الدقيق للدراسة العلمية الأدبية وبين الحرية الحرة التي يصطنعها الشعراء والكُتّاب».

هذا هو منهج عبد الله الطيب: الملاءمة بين الدقة والصرامة، مما تتطلبه الدراسة المنهجية، من جهة، وبين ما سماه طه حسين "الحرية الحرة"، أي دون التقيد بقواعد منهج معين، مستحدث أو قديم. إنه صاحب منهجه. وهذا أمر يستطيع تلمسه من كان على صلة بكتبه المتعددة والمتنوعة. ولكنني أسوق أمثلة مما لا يجده القارئ مدونا في الكتب، بل هو مما لمسته من أستاذي أثناء ملازمتي له.

ذات يوم رد إلي فصلا من فصول البحث وقد دون عليه ملاحظاته. وكانت طريقته في تدوين الملاحظات أن يكتفي باللمح العابر، دون التفصيل، ثم يعتمد بعد ذلك على نباهة الطالب الباحث. وقد كنت، على ما جرى عليه عرف المحدثين، مغرما باستعمال المجاز، دون تدقيق في جزئياته. وقد كتبت يوما: (إن الإبحار في زوايا النص)، فما زاد على أن علق على هذه العبارة بقوله: (كيف يكون الإبحار في الزوايا؟)، فكانت هذه الملاحظة لكي تجعلني أحترس في المستقبل من استعمال المجاز بلا ضابط. ولما نظرت في الفصل الذي صححه وجدته علق على تحليلي لبعض أبيات قيس بن الخطيم بقوله: (هذا من قري: لا ترى الضب بها ينجحر). ولم يزد. وقد حيرتني تلك الإشارة، إلا أنها فتحت أمامي بابا عظيما من أبواب العلم.

ولنا عودة، إن شاء الله تعالى، إلى الحديث عن قوله: (لا ترى الضب بها ينجحر).

إلى أن نلتقي

الخطب المنبرية... والدور المنشود (2)

الخطيب وأهميته في الإقناع والتأثير

يعد الخطيب المحور الأساسي في كل محفل خطابي؛ لأن الناس في العادة لا يحكمون على السامعين هل أجادوا الاستماع أم لا، ولكنهم يحكمون على الخطيب، هل أجاد القول أم لا. ولذلك تشترط في الخطيب جملة من الشروط، لعل من أهمها ما يتعلق بالمعتقد وتطبيق القول بالفعل.

ومن المعروف أن اقتران القول بالعمل مبدأ إسلامي له دور أساسي في الإقناع. كما نص على ذلك الذكر الحكيم في أكثر من آية؛ منها قوله قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾ (الصف: 2). وواضح أن هذا المبدأ له أهميته الكبيرة في التأثير، إذ يرتبط بما يعرف بالإقناع بالقدوة. وغير خاف أن السامع في العادة لا يلتفت إلى ما يقال له إذا علم أن القائل منافق أو مخادع. ولهذا السبب وجه الرسول ﷺ الخطباء إلى الإخلاص في أقوالهم، وابتغاء مرضاة الله في خطبهم، وألا يتخذوا الخطابة وسيلة للرياء والنفاق، فـ"من قام بخطبة لا يلتمس بها إلا الرياء والسمعة، أوقفه الله يوم القيامة موقف رياءٍ وسمعة". كما أخبر ﷺ بما رآه ليلة أسري به فقال: «رأيت ليلة أسري بي رجالاً تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قرضت رجعت، فقلت لجبريل: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء من أمتك، كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب» (أخرجه أبو يعلى في مسنده، وابن حبان في صحيحه وغيرهما).

إن الإقناع بالقدوة كان سمة من السمات الخلقية لكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما كان كبار الخطباء وبلغاؤهم وأتقياؤهم لا يخوضون في قول إلا إذا كانوا عاملين به قبل غيرهم.

فلقد كتب بعضهم إلى صديق له: "أما بعد، فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك. واستح من الله بقدر قربه منك، وخفه بقدر قدرته عليك".

وقال عامر بن عبد القيس: "الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان".

وقال الحسن البصري –وقد سمع رجلا يعظ فلم تقع موعظته بموضع من قلبه، ولم يرق عندها– فقال له: "يا هذا، إن بقلبك لشرا أو بقلبي!".

كما كان بعضهم يتحرج، أو يحذر غيره، من الوعظ، خشية أن يقول ما لا يفعله.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، "أن رجلا جاءه فقال: يا ابن عباس إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر. قال: أو بلغت ذلك؟ قال: أرجو! قال: فإن لم تخش أن تفتضح بثلاثة أحرف من كتاب الله فافعل. قال: وما هن؟ قال: قوله عز وجل: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ (البقرة: 44)، أحكمت هذه الآية؟ قال: لا. قال: فالحرف الثاني. قال: قوله تعالى:﴿لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾ (الصف: 2)، أحكمت هذه الآية؟ قال: لا. قال: فالحرف الثالث. قال: قول العبد الصالح شعيب: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾، أحكمت هذه الآية؟ قال: لا. قال فابدأ بنفسك".

وشبيه بذلك قول الحسن البصري لأبي بكر بن عياش، وقد طلب منه أن يعظه: "إذا نزلت على المنبر فاعمل بما تكلمت به".

ولله در الشاعر حين قال:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ ... هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ

ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ

فَهُنَاكَ يُقْبَلُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى ... بِالرَّأْيِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

وبالتأكيد فإن إيمان الخطيب بما يقوله واعتقاده به، وقبل ذلك وبعده، عمله به، يدفعه إلى التفاعل معه، ويظهر تجاوبه معه ودفاعه عنه، حتى يبدو ذلك في صوته وحركاته وإشاراته وحالة جوارحه. ولقد كان رسول الله ﷺ "إذا خطب الناس، احمرت عيناه، ورفع صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش" (أخرجه مسلم). ولذلك كان إلقاؤه ﷺ لخطبه ذا طابع خاص من حيث جمال الوقع وارتياح النفوس إليه. عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: "إن رسول الله ﷺ كان يحدث حديثا لوْ عدَّه العاد لأحصاه. ثم قالت: إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد كسردكم هذا". (صحيح البخاري وصحيح مسلم).

ولذلك فإن تجنب الخطباء لما يمكن أن ينتقص من قدرهم شرعا، أو حتى عُرفا، لمّا يزيد من رفعتهم ومكانتهم في المجتمع، ومهابتهم وتأثيرهم في الناس.

أ.د. عبد الرحيم الرحموني